ردمد ١٦٠٧-٢٠٩X

دولة الإمارات العربية المتحدة

دبـــي

مجلـــة كليـــة الدراسات الإســلامية والعربيــة

إســلامية

فكــرية

محكّمــة

العدد التاسع عشر

ربيع الأول ١٤٢١هـ - يونيو ٢٠٠٠م

مَجَلَّــة

كُلِّيَّةِ الدِّراساتِ الإِسلاميَّةِ والعربيَّةِ

إسلاميَّة، فكريَّة، محكَّمة
نصف سنويَّة

العدد التاسع عشر

ربيع الأول ١٤٢١هـ - يونيو ٢٠٠٠م

الإشراف العامّ

مجلس الشُّؤون العلميَّة والتَّعليميَّة والإداريَّة

رئيس التَّحرير

أ. د. إبراهيم سلقيني (عميد الكلِّيَّة)

مدير التَّحرير

د. محمَّد عبد الرَّحيم سلطان العلماء

هيئة التَّحرير

أ. د. حاتم صالح الضَّامن (قسم اللغة العربيَّة)

أ. د. رجب سعيد شهوان (قسم الشَّريعة)

د. عيادة أيُّوب الكبيسي (قسم أُصول الدِّين)

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩X

المحتويـــــــات

● **الافتتاحية**

التحرير ١١-١٦

● **تَدَبُّرُ القُرْآنِ بَينَ المَنْهَجِ الصَّحِيحِ والانحرافَاتِ المُعَاصِرَةِ**

د. عيادة بن أيوب الكبيسي ١٩-٥٨

● **مُوَازَنَةٌ فِي مَبْحَثِ (معرفة أسبابِ النُّزُولِ) بينَ الزَّرْكَشِيِّ والسُّيُوطِيِّ**

د: محب الدين عبد السبحان واعظ ٥٩-٨٩

● **تَحَمُّلُ الحديثِ وروايتُهُ من خلالِ وسائلِ التَّلَقِّي القَدِيمةِ والحَدِيثةِ**

د. صالح يوسف معتوق ٩١-١٢٢

● **حديث " لاَ تَرُدُّ يَدَ لاَمِسٍ " دراسةٌ نَقْدِيَّةٌ حديثيَّةٌ فقهيَّةٌ**

د. وليد محمد الكندري

د. مبارك سيف الهاجري ١٢٣-١٧٠

● **مَدَى سُلْطانِ الأَبِ في تَزْوِيجِ ابنَتِهِ فِي الفِقْهِ الإِسْلامِيِّ**

د. عيسى صالح العمري ١٧١-٢٠٢

● **مِنْ رُوَّادِ التَّجْدِيدِ فِي الدِّرَاسَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ**

د. سلامة محمد البلوي ٢٠٣-٢٤٩

● **التَّأْلِيفُ فِي مَثَالِبِ العَرَبِ حتَّى نِهَايَةِ القَرْنِ الثَّالِثِ الهجريِّ**

أ. أحمد محمد عبيد ٢٥١-٢٧٢

● **تَسْمِيَةُ الشَّيءِ باسْمِ الشَّيءِ إِذا كانَ مِنْهُ بِسَبَبٍ وأَوزانُ الاسْمِ الثُّلاثي لابن برِّي النَّحْوِيِّ المتوفَّى سنة ٥٨٢ هـ**

تحقيق الأستاذ الدكتور/ حاتم صالح الضَّامن ٢٧٣-٢٩٣

● **فِي تاريخِ عِلْمِ الصَّرْفِ ومُصْطَلَحاتِهِ**

أ.د. مازن المبارك ٢٩٥-٣١٢

● **الوضوحُ الدَّلاليُّ فِي المعارفِ وأَثَرُهُ فِي بنائِها وإِعرابِها**

د.محمد رباع ٣١٣-٣٣٩

● **القَصَصُ الاجْتِمَاعِيُّ فِي شِعْرِ الزَّهَاوِيِّ**

د. أحمد السيد أحمد حجازي ٣٤١-٣٩٠

تَدَبُّرُ القُرْآنِ
بَينَ
المَنْهَجِ الصَّحِيحِ والانحِرافَاتِ المُعَاصِرَةِ

د. عيادة بن أيوب الكبيسي*

مُلَخَّص البحث:

تَدَبُّرُ القرآنِ، بمعنى: تأمُّل الآياتِ والتَّبصُّر فيها - بعد فهم ألفاظها ومعانيها - أمرٌ مطلوب بنصّ الكتاب.

وهو على أقسام، وله شروطٌ وقواعدُ، كان لمراعاتها أثرٌ حسنٌ وجهودٌ مشكورةٌ في الكشف عن بعض أسرار الكتاب العزيز، والإفصاح عن جوانبَ من إشاراته، كما قد جَرَّ الإخلالُ بها إلى مفاسدَ كثيرةٍ وانحرافاتٍ خطيرةٍ، ربما أصابت معاقدَ الإيمانِ وقواعدَ الإسلام.

وقد كثرت أمثلةُ الانحراف في عصرنا الحاضر بسبب ضعف العربيَّة وإغفال أصول التَّفْسير، وعدم الرُّجوع إلى جهابذة المفسّرين من القدامى والمُحْدَثين.

وفي البحث نماذجُ من التَّدَبُّر الذي انحرف أصحابُهُ عن الجادَّة، وابتعدوا عن المنهجِ الصَّحيح، شملت آياتِ العقيدةِ والأحكام والآياتِ الكونيَّة.

(*) أستاذ التَّفسير وعلوم القرآن المساعد ورئيس قسم أصول الدِّين، بكلِّيَّةِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ والعربيَّةِ بدبي.

البحث :

الحمدُ لله الذي دعانا إلى تدبُّرِ كتابه، للوقوفِ على أسراره وفهم مقاصد خطابه، ولإدراك أنَّهُ الكتابُ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، والصَّلاةُ والسَّلامُ على صفوةِ خلقه، خيرِ من تَدَبَّرَ الآياتِ، وأرشدَ إلى ما فيها من هداياتٍ، وعلى آله وأصحابه، وأنصاره وأحبابه، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدِّين.

وبعد :

فإنَّ القرآنَ الكريمَ إنَّما أُنزلَ لمقاصدَ نبيلةٍ، وأغراضٍ ساميةٍ، تَكْفُلُ لمن لاحظها وأحسنَ التَّعاملَ معها عِزَّ الدنيا وسعادةَ الآخرة، وإنَّ من أهم تلك المقاصد والغايات أنه سبيلُ الهداية لجميع العالمين قال تعالى في صدر سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ (١)، وقال سبحانه في السورة نفسها: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾(٢) وقال جلَّت قدرته: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (٣).

وإنَّ خيرَ ما صُرِفَتْ فيه الأوقاتُ، وكدّت فيه العقول والأفهام، هو كتابُ الله تعالى، كيف لا وقد دعانا رَبُّنَا تبارك وتعالى إلى ذلك فقال سبحانه وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (٤).

فأصبح من حقِّ كلِّ مسلم أن يتدبَّرَ كلامَ الله تعالى، ويتأمَّل آياتِ كتابه المجيد، ويغترفَ من كنوز المعرفةِ التي يزخرُ بها، كُلٌّ على حسب علمه وقوة فهمه وصفاءِ قلبه، وقد تنوَّعت الفهومُ، وتعدَّدت النَّتائجُ، وتفاوتت الفتوحُ ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ (٥)، ولم يقتصر

١- سورة البقرة، الآيتان: ١ و ٢.
٢- سورة البقرة، آية: ١٨٥.
٣- سورة إبراهيم عليه السلام، آية: ١.
٤- سورة ص، آية: ٢٩.
٥- سورة الرعد آية: ١٧.

ذلك على نوع من العلم أو طريق من الفهم، ولكنَّهُ شمل العلومَ جميعَها، لأنَّ القرآنَ الكريمَ كان ولا يزال وسيبقى بحراً زاخراً لا تكدِّرُهُ الدِّلاءُ، ونبعاً صافياً أمامَ العلماءِ.

ولكن هل يعني ذلك أن يُفْتَحَ هذا البابُ لكلِّ من هَبَّ ودبَّ، وأن يطلقَ الإنسانُ لفكره العنانَ، فيتأمل في الآيات ثم يمضي إلى ما يدور في خلده من أفكار، وما يستنتجه من آراءٍ وأفهامٍ دون أن تكونَ هناك ضوابطُ يرجعُ إليها، وقواعدُ محددةٌ يهتدي في ضوئها؟.

هذا ما أردنا بيانه في هذا البحث، إذ قد نتج عن مثل هذا التسيب أفكارٌ غريبة، أَخْطَأَت الطَّريقَ الصَّحيح، وآراءٌ جديدةٌ انحرفت عن المنهج السَّويِّ، بل إنَّ منها ما يصادمُ قواعدَ الإسلام ومعاقدَ الإيمانِ، ويخالف ما بَيَّنَهُ القرآنُ، ومن هنا جاءت أهميَّةُ الكتابةِ في هذا الموضوع، ومناقشةُ بعض هذه الأفكار المنحرفة وبيان زيفها.

وقسمته على النحو الآتي:

١- تعريفات مهمَّة شملت: القرآن، تدّبره، تفسيره، لغةً واصطلاحاً.

٢- ذكر الآيات الداعية الى التَّدبُّرِ، وبيان هداياتها

٣- أقسام التَّدبُّرِ وشروطه وأبرز قواعده.

٤- نماذج من الانحرافات المعاصرة في التدبُّر، مع بيان المسلك الصَّحيح في ذلك.

٥- الخاتمة، وفيها أهمُّ ما تَوَصَّلَ إليه البحثُ من نتائجَ.

تعريفات:

- **القرآن:** يختلفُ العلماءُ في هذا اللفظِ المباركِ من حيثُ اللغةُ، هل هو مشتقٌّ أو غير مشتق، مهموزٌ أو غيرُ مهموزٍ؟ ولسنا هنا بصدد تفصيل ذلك [١]. غير أنَّا سنختصر الكلام فيه على النحو الآتي:

ذهب بعضهم إلى أن القرآن غير مشتق ولا مهموز، ومنهم الإمام الشَّافعيُّ - رحمه اللّه تعالى - على ما نقله عنه الخطيبُ البغداديُّ [٢] . ورجَّحَهُ السُّيوطيُّ كما في الإتقان [٣].

وذهب بعض آخر من العلماء إلى أنَّ القرآنَ مهموزٌ ومشتقٌّ، قيل: هو وصف على

١- فصلنا القول في هذا وفي تعريف التفسير في موضع آخر من أبحاثنا.

٢- انظر: تاريخ بغداد ٦٢/٢.

٣- انظر: الإتقان ٥١/١.

فعلان، مشتق من القَرْي وهو الجمع، ومنه: قريت الماء في الحوض أي: جمعته [١]، سُمِّيَ بذلك لجمع السُّور والآيات فيه، أو القصص والأوامر والنَّواهي، أو لجمعه ثمرات الكتب السَّابقة، وقيل: إنَّه مصدر قرأ يقرأُ قرآناً بمعنى: تلا على وزن فعلان، كالغُفْران والشُّكْران مصدر غَفَرَ وشَكَرَ - بفتح العين في الماضي والمضارع - سُمِّيَ به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر [٢].

وَرَجَّحَهُ جمعٌ، مستدليِّن بأنَّ القرآنَ في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾ [٣] أي: قراءته.

وقد تفاوتت عباراتُ العلماءِ في تعريفه اصطلاحاً من حيثُ الشُّمولُ والوضوحُ، ولعلَّ أشملَ تعريفٍ وأوضحه، وأرضاه لدى أهل العلم، هذا التَّعريف:

«كلامُ اللّهِ تعالى، المعجزُ، المنزَلُ على نبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم، المكتوبُ في المصاحفِ، المنقولُ إلينا بالتَّواترِ، المتعبَّدُ بتلاوتِهِ» [٤].

وبعضهم يضيف: المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة النَّاس [٥]، ويمكن أن نضيفَ: الذي تَكَفَّلَ اللّهُ تعالى بحفظه.

- **التَّدبُّر**: صيغة تكلف مشتقة من فعل دَبَرَ - بوزن ضَرَبَ - إذا تبع، وهو مشتق من الدّبر أي: الظَّهر، اشتقوا من الدبر فعلاً فقالوا: تدبر، فهو من الأفعال التي اشتقت من الأسماء الجامدة.

والتَّدبُّر يتعدَّى إلى المتأمَّل فيه بنفسه، يقال: دبر الأمر وتدّبره تدبراً: ساسه ونظر في عاقبته [٦].

وهو عبارة عن النَّظر في عواقب الأمور وأدبارها، ودبر كلّ شيء آخره، وهو قريب من التَّفَكُّرِ، إلا أنَّ التَّفَكُّرَ تصرفُ القلبِ بالنظر في الدَّليلِ، والتدبر تصرفه بالنَّظَرِ في

١- انظر: الصحاح ٢٤٦١/٦، والبرهان ٣٤٧/١.

٢- انظر: مفردات القرآن ص ٦٦٨، ٦٦٩، والإتقان ٥١/١، والمصباح المنير والقاموس المحيط ولسان العرب مادة: قرأ.

٣- سورة القيامة، الآيتان ١٧ و ١٨.

٤- انظر: مناهل العرفان ٢١/١.

٥- انظر: المرجع السابق.

٦- انظر: المعجم الوسيط ٢٦٩/١، والمصباح المنير ٢٠٢/١، والتحرير والتنوير ١٣٧/٥ و ٨٧/١٨ و ١٣٧/٢٣.

العواقبِ[1]. ومنه قوله: لا تتدابروا أعجاز أمور قد وَلَّت صدورها[2]، ويقال في فصيح الكلام: لو استقبلت من أمري ما استدبرت[3]، أي: لو عرفت في صدر أمري ما عرفت من عاقبته[4].

وعرف بأنه: التَّفَكُّرَ الشَّامل الواصلُ إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة [5].

وتدّبر الآيات: التَّفَكُّرُ فيها والتَّأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التَّأويلات الصَّحيحة والمعاني الحسنة [6].

وفي التنزيل الحكيم: «أفلم يدّبروا القولَ» أي: أفلم يتفهموا ما خُوطِبُوا به في القرآن؟ وكذلك: «أَفَلاَ يَتَدَبَّرونَ القُرْآنَ» أي: أفلا يتفكرون فيعتبروا؟ فالتدبر: هو التفكر والتفهم[7].

ومن خلال ما تقدم يَتَبَيَّنُ لنا أنَّ التَّدبُّرَ هو: تعقبُ ظواهرِ ألفاظِ الآياتِ والتَّفَكُّرُ الشَّاملُ فيها - بعد فهم معانيها - والتَّأَمُّلُ الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظواهرها من التَّأويلاتِ الصَّحيحةِ اللائقة، والمعاني الحسنةِ المكنونة، لتكونَ منهجَ حياةٍ للمتدبرِ تنظمُ شؤونَهُ العلميَّةَ والاجتماعيَّةَ والسياسيَّةَ والروحيَّةَ.

وغايته: البحثُ عن الحقيقة، والقطع بأنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، حيثُ لاتناقضَ فيه ولا تعارضَ ولا اختلافَ، ولا تمكن معارضته والإتيان بمثله، وأنَّهُ كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾[8]، الموصل إلى عزِّ الدنيا وسعادة الآخرة.

- **التَّفسير**: حين يذكر التَّدبُّر يذكر معه التَّفسير، فرأينا أن نعرِّفَهُ - باختصار - لننظر هل يوجد فرق بينهما؟.

١- انظر: التعريفات ص ٧٦.

٢- قاله أكثم بن صيفي لبنيه، انظر: تهذيب اللغة ١١٢/١٤، وتاج العروس ٢٦٥/١١ مادة: دبر.

٣- هذا جزء حديث أخرجه البخاري برقم ٧٢٢٩ من حديث عائشة - رضي الله عنها - في كتاب التمني، وتمامه«ما سقت الهدي ولحللت مع الناس حين حلوا».

٤- انظر: التفسير الكبير ٢٠٢/١٠.

٥- انظر: قواعد التدبر الأمثل ص ١٠.

٦- انظر: الكشاف ٣٧٢/٣.

٧- انظر: القاموس المحيط ٤٠/٢، وتاج العروس ٢٦٦/١١، وبصائر ذوي التمييز ص ٥٨٨. وانظر الآيات ص ٢٥ الآتية.

٨- سورة هود، آية: ١٤، وتمامها: ﴿ فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

التفسير لغة: مأخوذ من الفَسْرِ، وهو البيانُ والكشفُ والإظهارُ، يقال: فسر الشيء يفْسِرُ - بالكسر -، ويفسُره - بالضم - فسراً، وفسره: أبانه، وقال الراغب: الفَسْرُ والسَّفرُ يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، وجعل السَّفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفرَ الصُّبْحُ (١).

والتفسير في الأصل: عامٌّ في كلِّ كلام، يقال: فسر الشيء: أي: أبانه ووضحه، ولكنه اشتهر في كتاب اللّه تعالى، فإذا أطلق انصرف إليه.

واصطلاحاً:

تفاوتت تعريفاتُ التَّفسير في الاصطلاح ما بين بسط واختصار، ولعلَّ أوضحَ تعريفٍ وأخصرَهُ قولُ من قال: «هو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن أحوالِ القرآنِ الكريمِ من حيثُ دلالتُهُ على مرادِ اللّهِ تعالى بقدرِ الطَّاقةِ البشريَّةِ» (٢).

فهو مع وجازته موفٍ بالغرض لملاحظته الغايةَ من نزولِ القرآنِ الكريمِ، والقيد بقدر الطاقة البشرية، إذ هو لابدَّ منه في التَّعريف، حيث لا يتأتى لأيِّ إنسانٍ مهما بلغَ من العلمِ الوصولُ إلى القطع بذلك، إلاَّ للنبيِّ المعصوم صلى الله عليه وسلم.

وقد ظهر من تعريف التدبر والتفسير: أنَّ التدبر متوقف على التفسير، إذ كيف يتدبر كلام اللّه تعالى من لا يعرف معناه؟.

فالتدبر بعد التفسير وهو أعمق منه.

فالتَّفسيرُ: الكشفُ عن المعنى وإظهارُ المرادِ.

والتَّدبُّرُ: إعمالُ الفكرِ في استخراجِ الحكمِ والأسرارِ وما يربطُ القلب باللّه ويكسبه الخشية والخشوع. مثال ذلك:

تفسير: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ .. بأنَّ اللّه تعالى واحد لا شريك له، وهو الصَّمَدُ الذي يُقْصَدُ في الرَّغائب ويُسْتَغَاثُ به عند المصائب (٣).

والتَّدَبُّرُ: هو التَّأمُّل والتفكر في هذا المعنى، وأنَّهُ إذا كانَ اللّهُ تعالى هو الواحد الذي لا

١- انظر: مقدمة التفسير للرَّاغب الأصفهاني ص ١٦٢، ومفردات القرآن ص ٦٣٦ مادة: فسر.

٢- ذكره الشيخ الزرقاني، انظر: مناهل العرفان ١/٤٧١.

٣- انظر: تفسير البغوي ٤/٥٤٤-٥٤٥.

ثاني معه، وهو الذي يُقْصَدُ في كلِّ حاجة وَيُفْزَعُ إليه عند كلِّ شدة.. فينبغي تحقيق ذلك في الواقع، وأَنْ يُفْرَدَ جَلَّ جلاله بالعبادة والاستغاثة، وأن لا يخاف الإنسان إلا منه، ولا يرجو إلا فضله، وأن يعمر قلبه بحبه، وأن يتفانى في طاعته، ويبتعد عن معصيته .. إلى نحو هذا من وجوه التدبر والتأمل والإشارات.

وبهذا المعنى فقد اشتملت كتبُ التفسيرِ على كثيرٍ من وجوهِ التدبرِ، نجدها مبثوثةً في ثنايا تلك الكتب، ظهرت للمفسر المتبحر وهويكتب تفسيره ويعرض فهمه.

الآياتُ الدَّاعيةُ إلى التَّدبُّر:

الآياتُ الدَّاعيةُ إلى التَّفكُّرِ والتَّذكُّرِ والتَّبصُّرِ، واستعمال العقل والنظر كثيرةٌ دائرةٌ في الكتاب الكريم، وليس غرضنا هنا التحدث عن ذلك، إنما نريدُ الايات الكريمةَ التي صرحت بلفظ التدبر وحثَّتْ عليه، وهي خمسُ آيات:

١- قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (١).

٢- قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٣)

٤- قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (٤).

وقد وردت آياتٌ كريماتٌ ذكرت معنى التدبر، نختار منها آية سورة الفرقان التي تضمنت معنى التدبر القريب، حيث نفت عن عباد الرحمن صفة التعامي عن آيات اللّه تعالى، وذلك في:

٥- قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾(٥).

فهذه الايات الكريماتُ تدعو صراحةً إلى تدبرِ آياتِ القرآنِ وتبين الغاية منه، وتنهى عن الغفلة والتعامي عن النظر، أو التصامّ عن الاستماع والتأمل.

١- سورة النساء، آية: ٨٢.
٢- سورة المؤمنون، آية: ٦٨.
٣- سورة ص، آية ٢٩.
٤- سورة محمد ﷺ، آية ٢٤.
٥- سورة الفرقان، آية: ٧٣.

أمَّا الآيةُ الأولى:

فهي صريحةٌ في الدعوةِ إلى التَّدَبُّرِ وبيانِ عِلَّته، قال ابن عطية في تفسير هذه الآية: وهذا أمر بالنَّظر والاستدلال، ثم عرف تعالى بمواقع الحجة أي: لو كان من كلام البشر لدخله ما في كلام البشر من القصور، وظهر فيه التناقض والتنافي الذي لايمكن جمعه، إذ ذلك موجودٌ في كلامِ البشرِ، والقرآنُ مُنَزَّهٌ عنه، إذ هو كلامُ المحيطِ بكلِّ شيءٍ علماً[1].

فالآية الكريمة تُبَيِّنُ أنَّ مقتضى النَّظر الصَّحيح موصلٌ إلى أنَّ هذا القرآن إنَّما هو من عند الله سبحانه وتعالى، وأنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم ليس له منه إلا التبليغ، فالمعنى: أفلا يتدبرون دلالته وذلك يحتمل معنيين - كما يقول ابن عاشور رحمه الله تعالى - أولهما: دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيل، وثانيهما: أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أَنَّهُ من عند اللّه [2]، وإذا علم ذلك وجب التقيد بما فيه من نظم وإحكام.

وأمَّا الآيةُ الثَّانيةُ:

فهي صريحةٌ - أيضاً - في الدعوةِ إلى تَدَبُّرِ القولِ، الذي هو القرآنُ ليوصلَهُمْ ذلك إلى الإيمان باللّه تعالى ووحدانيته.

فقد بَيَّنَ -سبحانه وتعالى - أنَّ القول الذي هو القرآن كان معروفاً لهم وقد مكنوا من التأمل فيه من حيث كان مبايناً لكلام العرب في الفصاحة، ومبرأً عن التناقض، ومن حيث ينبه على ما يلزمهم من معرفة الصَّانع ومعرفة الوحدانية فلم لا يتدبرون فيه ليتركوا الباطل ويرجعوا إلى الحق؟[3]، فإنهم لو تَدَبَّروا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به وبما فيه، والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر، أي: أَفَعَلُوا ما فعلوا فلم يَتَدَبَّروا؟.

﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ **أم هي المنقطعة**، أي: بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأتِ آباءهم الأَوَّلين فكان سبباً لإنكارهم للقرآن؟ والمقصود تقرير أَنَّهُ لم يأتِ آباءهم الأَوَّلينَ رسول فلذلك أنكروه [4].

١- انظر: المحرر الوجيز ١٤٧/٤ وقال: فإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافاً في شيءٍ من كتاب اللّه فالواجبُ أن يتهم نظره، ويسأل من هو أعلم منه.

٢- انظر: التحرير والتنوير: ١٣٧/٥-١٣٨ وقد رَجَّحَ - رحمه اللّه تعالى - الأَوَّلَ.

٣- انظر: التفسير الكبير: ١١٢/٢٣.

٤- انظر: فتح القدير: ٤٩٢/٣.

فالآية الكريمة تشيرُ إلى أنَّ تدبر القرآن سببٌ للإيمان به، و أنه حَقٌ من عند اللّه تبارك وتعالى، وأنَّ التقليد والوقوف عند آراء المقلّدين سَدٌّ منيعٌ بوجهِ الإيمانِ، يجبُ على العقولِ أن تخلَعَ ربقته وَتَتَحَرَّرَ من أسره.

وأمَّا الآيةُ الثَّالثةُ :

فهي صريحة في الدَّعوةِ الى التَّدبُّرِ الشَّاملِ لآياتِ الكتابِ الكريم من أجل التَّذكُّرِ والانتفاعِ بما حواه من فنون المعارف والعلوم.

وفي هذا دليلٌ على وجوب معرفة معاني القرآن – كما يقول الإمام القرطبي[1] – ودليل على أنَّ التَّرتيلَ أفضلُ من الهذِّ[2]،إذ لا يَصِحُّ التدبر مع الهذّ.

وإنَّ مَثَلَ من اقتنع بظاهرِ المتلو، كما يقول الزمخشريُّ – كَمَثَلِ من له لقحةٌ درورٌ لا يحلبها ومهرةٌ نثورٌ لا يستولدُها.[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ مُبَٰرَكٌ ﴾ إشارة إلى الخير الكثير الذي اشتمل عليه هذا الكتاب الكريم، وما يفيضه اللّه تبارك وتعالى على المتدبر، حيثُ إنَّ القرآنَ لا تنقضي عجائبه، وهو النبع الصَّافي الذي لا يَنْضُبُ مهما اغترفَ منه العلماءُ، وكلّ آيات القرآن مبارك فيها لأنها إمَّا مرشدةٌ الى خير، وإمَّا صارفة عن شرٍّ وفساد، وذلك سبب الخير في العاجل والآجل، ولابركة أعظم من ذلك، وفي هذه الآية اقتضابٌ وإيجازٌ بديعٌ كإعجاز كلِّ القرآنِ العزيزِ– كما يقول ابنُ عطيَّةَ رحمه الله تعالى – ووصفه بالبركة لأنَّ أجمعها فيه، لأنه يورثُ الجنَّةَ وينقذُ من النَّار، ويحفظُ المرء في حال الحياة الدُّنيا، ويكونُ سبب رفعة شأنه في الحياة الآخرة (٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ : إشارة الى مكانة العقل في الإسلام، وأنَّ الله تعالى جعلَ العقولَ معادنَ الحكمةِ، ومقتبسَ الآراءِ، ومستنبطَ الفهمِ، ومعقلَ العلمِ،

١– ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٩٢.

٢– الهَذّ – بفتح الهاء وتشديد الذال –: سرعة القطع، وفي حديث ابن مسعود – رضي اللّه تعالى عنه – وقد قال له رجل: قرأت المفصل الليلة، فقال: أهَذًّا كهذّ الشِّعْرِ؟ أراد أتهذُّ القرآنَ هذّاً فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر؟ ونصب هَذّاً هنا على المصدر. انظر: النهاية ٥/٢٥٥، والمعجم الوسيط: ٢/٩٧٩ مادة: هذذ.

٣– انظر: الكشاف ٣/٣٧٢–٣٧٣.

٤– انظر: المحرر الوجيز: ١٢/٤٥٢، والتحرير والتنوير: ١١/٢٥١.

ونورَ الأبصارِ، وأنَّ أهلَ العقولِ السَّليمةِ حين يتدبرون آياته بعقولهم ويتذكرون ما قال بألبابهم سيتعظون بذلك، ويقفون على أسرارِ الكتابِ وعجائبه، ويعلمون أنَّهُ إنَّما أُنْزِلَ بعلمِ اللّه تعالى، ولذا خَصَّهُمْ تبارك تعالى بالتَّذَكُّرِ (١).

وأمَّا الآيةُ الرَّابعةُ:

فهي مع صراحتها في الدَّعوةِ إلى التَّدبُّرِ، تنعى على الذين أعرضوا وأغمضوا أعينهم، وأقفلوا قلوبهم عن وعي هذا القرآن وتفهم معانيه، والمعنى: ألا يلاحظون مافيه من المواعظِ والزَّواجرِ حتى لايقعوا فيما وقعوا فيه من موبقات؟.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ تمثيلٌ لعدمِ وصولِ الذِّكرِ إليها وانكشاف الأمر لها فكأنَّهُ قيلَ: أفلا يتدبرون القرآنَ إذ وصلَ إلى قلوبهم أم لم يصل إليها، فتكون (أم) مُتَّصِلَةً، وذهب بعضهم إلى أنَّها منقطعةٌ وما فيها من معنى بل للانتقال من التَّوبيخ بترك التدبر إلى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلةً لا تقبلُ التَّدَبُّرَ والتَّفَكُّرَ، والهمزة للتقرير، وتنكير القلوب لتهويل حالها وتفظيع شأنها وأمرها في القساوة والجهالة كأنَّهُ قيلَ: على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القساوة، وأضافَ الأقفال إليها لإفادةِ الاختصاصِ المميزِ لها عَمَّا عداها، وللإشارةِ إلى أنَّها لا تشبه الأقفالَ المعروفةَ إذْ لا يمكنُ فتحها أبداً (٢).

وأمَّا الآيةُ الخامسةُ:

فهي مدحٌ لعبادِ الرَّحمن الذين من صفاتهم: أَنَّهُمْ إذا ذُكِّروا بآياتِ رَبِّهِمْ، أي: خُوِّفُوا بالقرآنِ أو بما فيه موعظة وعبرة «لم يَخِرُّوا عليها صُمّاً وعمياناً» أي: لم يقعوا عليها حال كونهم صُماً وعمياناً، ولكنَّهُمْ أَكَبُّوا عليها سامعينَ بآذانٍ واعيةٍ، مبصرين بعيونٍ راعيةٍ، وإنَّما عبر بنفي الضِّدِ، تعريضاً بما يفعله الكفرة والمنافقون من شدة الإعراض والإباء والنفرة المستعار لها (الخرور) على تلك الحالة استعارة بديعية لما فيها من إسقاطهم عن الإنسانية إلى البهيمية، بل إلى أدنى منها، لأنها تسمع وتبصر، وقد نفيا عنهم (٣).

قال ابن قتيبة – رحمه اللّه تعالى: المعنى لم يتغافلوا عنها فكأنَّهُمْ صُمٌّ لم يسمعوها، وعُمْيٌ لم يروها (٤).

١- انظر: العقل وفهم القرآن ص ٢٢٦و٢٧٥ بتصرف. وانظر ما فصله الإمام الرازي في مناسبة هذه الآية لما قبلها في التفسير الكبير ٢٠٢/٢٦-٢٠٣.

٢- انظر: البحر المحيط ٨٣/٨، وروح المعاني ٧٤/٢٦، ومحاسن التأويل ٥٣٨٧/١٥.

٣- انظر: الكشاف ١٠٣/٣، وفتح القدير ٨٩/٤، وروح المعاني ٧٤/٢٦، ومحاسن التأويل ٤٥٩٩/١٢.

٤- انظر: غريب القرآن ص ٣١٥.

والآية كما ترى تَذُمُّ المعرضينَ عن تَفَهُّمِ الآياتِ، اللاهينَ عن تَدَبُّرِ معانيها.

هداياتُ هذه الآياتِ:

إنَّ المتأمِّلَ في هذه الايات الكريماتِ يدركُ أنَّها تدعو إلى إعمال الفكرِ في القرآنِ الكريمِ، والاجتهادِ في تفهم آياته ومعانيه، وتبصر ما فيها وما ترمي إليه، وأنَّ هذا التدبر إذا سار في طريقه الصَّحيح أوصلَ إلى اكتشافِ ما أودعَ اللّهُ تعالى فيه من حكم وأسرارٍ وإشاراتٍ.

وإن أهمَّ ما يوصله إليه التدبر معرفة أنَّ هذا الكتاب إنَّمَا هو من عند اللّه وحده، وأنه إنما أُنزلَ بعلم الله، وأنَّ كلَّ ما أخبر به فهو الحقُّ الذي ما بعده إلا الضَّلال، وهذا مابينته الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾، وهذا أمرٌ لازمٌ للمتدبر يكون مفتاحاً لما بعده، وهو الغايةُ العظمى من التَّدَبُّرِ، بل إنَّ كلَّ أنواع التدبر ونتائجه تَصُبُّ في هذا المقصدِ الأسمى.

إنَّ وجوهَ الإعجازِ المتنوعةَ التي زخرَ بها القرآنُ، سواء نظمه وتراكيبه، أو معانيه ومحتوياته، أو علمه ومعارفه، أو تأثيره وإثارته [1]، أو نحو ذلك من وجوه الإعجاز التي لم يشبع منها العلماء على اختلاف تخصصاتهم، كلّها تؤكد هذه الحقيقةَ التي ذكرها اللّهُ تعالى في القرآنِ حيثُ يقولُ عزَّ قائلاً: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [2].

وإنَّ أهمَّ ما يثمره التَّدَبُّرُ الصَّحيحُ:

- **معرفةَ مُرادِ اللّه تعالى، والوقوفُ على أسرارِ كلامه**، الذي هو سببُ النجاةِ والفوزِ، وذلك بما يفيضه اللّه تعالى على المقبلين عليه بصدق نية ورغبة، المتوكِّلينَ عليه لا على أنفسهم [3].

- **محبةُ القرآنِ وقوةُ التَّعلُّقِ به**، وانشراحُ الصَّدْرِ وتنور العقلِ بتكرارِ آياته وترديدِ تلاوتها، فتنكشفُ بذلك حجبُ القلوبِ وتزولُ موانعُ الفهومِ.

- **أن يقودَ صاحبه إلى العملِ وأخذ النفس بالمجاهدة** من أجلِ تطبيقِ ما ترشدُ إليه الآيات من مختلف صنوفِ الطَّاعات، واتقاء صنوف المحرمات، وذلك لما يكسبه حسن

١- انظر: المدخل إلى الدراسات القرآنية للندوي - رحمه اللّه تعالى - مجالات الإعجاز القرآني ص ٣٤.

٢- سورة هود - عليه السلام -، آية: ١٤ وتمامها: ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

٣- اقرأ في كتاب العقل وفهم القرآن: القسم الثاني في فقه القرآن ص ٣٠٢-٣٢٤، فإنه نفيس.

التدبر من خشية الله تعالى وتقواه، وفي هذا يقول الإمامُ الحسنُ البصريُّ - رحمه الله تعالى - : «**تَدَبُّرُ آياتِه اتِّبَاعُهُ**»[1].

- رؤيةُ الواقعِ الذي يعيشُهُ بعينِ البصيرة، والاستفادةُ من الماضي وأحداثه، وربطُ الحاضرِ بالماضي، واستخراجُ ما في ذلك من العبر والعظات، فالقرآنُ الكريمُ وإن تنزل قبلَ أكثر من أربعةَ عشرَ قرناً من الزمان إلا أنَّ آياته لا تزالُ حيَّةً طريَّةً كأنَّها تتنزلُ ساعةَ قراءة القارئ، وإنَّ القارئَ الواعيَ يجدُ في كتاب الله تعالى كلَّ شيءٍ يحتاجُهُ في واقعه، في حال عِزَّته أو ذلته، نصره أو هزيمته، تقدمه أو تأخره، طمأنينته أو قلقه.

ألا يقرأ فيه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[2]، و﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[3]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4] ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾[5]، ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[6]، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[7]، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾[8]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[9].

١- هو في تفسيره برقم ١١٦٢، ومطولاً برقم ١١٦٣ وجاء فيه: وما تدبر آياته إلا اتباعه بعلمه، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إنَّ أحدهم ليقول: والله لقد قرأتُ القرآن كلَّهُ وما أسقطت منه حرفاً واحداً، وقد أسقطه كلَّهُ، ما ترى له في القرآن من خلق ولا عمل ..إلخ ٤/٣٨٣، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه برقم ٥٩٧٨ بإسناد صحيح ٣/٣٦١-٣٦٢.

٢- سورة محمد صلى الله عليه وسلم، الآيتان: ٧و٨.

٣- سورة الأنفال، آية: ٤٦.

٤- سورة المنافقون، آية: ٨.

٥- سورة الحج آية: ١٨.

٦- سورة الرعد، آية: ٢٨.

٧- سورة الزمر، آية: ٢٢ وتمامها: «أولئك في ضلال مبين».

٨- سورة الأنعام، آية: ١٢٥.

٩- سورة النور آية: ٥٥.

أما يقرأ هذه الآيات وأشباهها؟ ألا إنَّ من قرأها وأمعن النظر فيها عرف نفسه وموقعه، وعرف الواقع الذي يعيشه ويحياه.

وإذا أردت أن يتجلَّى لك واقعُكَ المعاصرُ بوضوحٍ، فانظر الى حال النَّاس مسلمهم وكافرهم، وتأمل سنة اللّه تعالى التي لاتتغير فيهم فماذا ترى؟.

لقد تحققت سُنَّةُ اللّه تعالى مع المسلمين حيث انحرف كثيرٌ منهم عن طريق اللّه، فزالَ عنهم رويداً رويداً الاستخلافُ والتَّمْكينُ والتَّأمينُ، وصاروا إلى الغُثاءِ الذي تتداعى عليه الأمم لتفتكَ به كما تتداعى الأكلةُ إلى قَصْعَتِهَا، كما حَدَّثَ رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم [1]، هذا بالنسبة للمسلمين.

وأمَّا بالنسبة للكافرين فقد تَعَلَّمُوا من المسلمين علومهم وحضارتهم، وأرادوا بذلك الحياة الدُّنيا وزينتها، وسعوا في اكتسابها بكلِّ ما أُوتوا من جهدٍ ووقتٍ، ومن ثمَّ انطبقت عليهم سنة الله تعالى التي لاتتغير، فصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [2].

وصدق اللّه العظيم، فقد وفى لهم بذلك بقدر ما اجتهدوا فيها ولم يبخسهم شيئاً منها، فهم اليوم كما تراهم يملكون زمامَ العالمِ، ويسوسون النَّاسَ كما يريدون، بيدهم القُوَّةُ والثروةُ، ولهم التمكينُ والاستعلاءُ في الأرض.

ولكنا ننتظر أن تنطبقَ عليهم سُنَّةٌ أخرى من سُنَن اللّه التي لا تتغير، ألا وهي تدميرُ البغاةِ المعرضين عن هدي الله تعالى ودينه وشريعته، الذين لم يَشْكُروا النِّعمة ولم ينسبوا الفضلَ إلى أهله، تلك السنة التي يخبرنا اللّه تعالى عنها بقوله جلَّ وعلا: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ، فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [3].

وهاهي بوادرُ إهلاكِ الظالمين، وتحطيم حضارتهم التي لم تَقُمْ على ميزانِ العدلِ، بادية للعيان لا تخفى على المتبصرين [4].

١- ففي الحديث عنه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة - وفي رواية الأكلة - إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم كثير، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السَّيل، ولينزعنَّ اللّهُ من صدور عدوكم المهابةَ منكم، وليقذفَنَّ في قلوبكم الوهنَ، فقال قائل: يارسول اللّه، وما الوهنُ؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت» أخرجه أبو داود- اللفظ له- برقم ٤٢٩٧ في كتاب الملاحم- باب تداعي الأمم على الإسلام ٣٨/٥، والإمام أحمد ٢٧٨/٥.

٢- سورة هود - عليه السلام -آية: ١٥.

٣- سورة الأنعام، الآيتان: ٤٤و٤٥.

٤- انظر ما فصله الأستاذ محمد قطب في كتابه: دراسات قرآنية ص ٥٢٣-٥٢٤.

وإنَّ أُمَّةَ الإسلامِ لقادمةٌ بإذنِ اللهِ تعالى وآخذةٌ بزمامِ العالمِ من جديدٍ لتقودَهُ إلى شاطئ الأمنِ والسَّلامِ في ظلِّ كتابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ رسولِهِ ﷺ.

أَقْسَامُ التَّدَبُّرِ:

أرى - والله تعالى أعلم - أنَّ التدبر ينقسمُ بمجمله إلى **ثلاثة أقسام**:

الأوَّل: التَّفَكُّرُ في عَظَمَةِ القرآنِ:

وذلك بأنْ يتفكَّرَ في هذا القرآن الكريم، وماهو عليه من الإحكام والإتقان وبلوغه أعلى درجاتِ البلاغةِ والفصاحةِ، وما اشتملَ عليه من قصصٍ، وعقائدَ وترغيبٍ وترهيبٍ وأحكامٍ وأمثالٍ ونظمٍ ومبادئَ وقيمٍ ومناهجَ تربويَّةٍ مُتَنَوِّعةٍ، وما إلى ذلك من وجوهِ الإعجازِ المتعدِّدةِ، مع سلامته من التَّناقضِ والتَّعارضِ، وأنَّ مشركي العرب قد عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله مع ما هم عليه من تمكّنٍ في البلاغةِ والفصاحةِ، ومع حرصهم الشَّديدِ على تكذيبه ومعارضته.

ذلكَ التفكر الذي من شأنه أن يوصلَ إلى الاعتقادِ الجازمِ بأنَّ هذا القرآنَ ليس إلا من عندِ اللّهِ تعالى، أنزلَهُ بعلمه جلَّ وعلا على عبده ورسوله محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

ولعلَّ هذا التدبر هو أعلى الأقسام وأهمها، وعليه قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (١).

وأحوج من يحتاج إلى هذا النَّوعِ من التَّدَبُّرِ المنكرون والمتشككون، وقد حاول ذلك كثيرٌ منهم في القديمِ والحديثِ فانتفعوا وآمنوا، ولنقرأ شهادةَ الطبيبِ الفرنسيِّ (موريس بوكاي) للقرآن الكريم حيثُ يقولُ في دراسةٍ علميَّةٍ كتبها بعنوان: «القرآن الكريم والتَّوراة والإنجيل والعلم» :

لقد أثارت دهشتي هذه الجوانبُ العلميَّةُ التي يختصُّ بها القرآنُ، والتي كانت مطابقةً تماماً للمعارف العلمية الحديثة، ولقد درستُ هذه النُّصوصَ بروحٍ متحرِّرَةٍ من كلِّ حكمٍ سابقٍ، وبموضوعيَّةٍ تامَّةٍ، بيد أني لا أنكرُ تأثيرَ التعاليم التي تلقيتها في شبابي، حيث لم تكن الأغلبية تتحدَّثُ عن الإسلام، وإنَّما عن المحمديين لتأكيدِ الإشارةِ إلى أنَّ هذا الدين أَسَّسَهُ رجلٌ، وبالتالي فهو ليس بدين سماوي فلاقيمة له عند اللّه، وكان يمكن أن أظلَّ

١- سورة النساء، آية: ٨٢.

محتفظاً كالكثيرين بتلك الأفكار الخاطئة عن الإسلام، وهي شديدة الانتشار.

ولما تحدَّثتُ مع بعض المستنيرين من غير المتخصصين عرفت أنِّي كنت جاهلاً قبل أن تعطى لي عن الإسلام صورة تختلف عن تلك التي تلقيتها في الغرب.

وكان هدفي الأول قراءة القرآن، ودراسة نَصِّه آيةً آيةً، مستعيناً بمختلف التَّعليقات اللازمة للدِّراسة النَّقْديَّة، وانتهيتُ بشكلٍ خاص إلى دقة بعض الإشارات نفسها، والتي لم يكن لأيِّ إنسان في عصر محمد صلى اللّه عليه وسلم أن يكوّن عنها أدنى فكرة، ثم قرأت إثر ذلك مؤلفات كثيرةً خَصَّصَها كُتَّابٌ مسلمون للجوانب العلمية في القرآن، وعلى حين نجد في التوراة أخطاءً علميَّةً فادحةً، فإنَّا لا نجدُ في القرآن أيَّ خطأ.

وقد دفعني ذلك إلى أن أتساءل: لو كان مؤلِّفُ القرآنِ إنساناً فكيف استطاع في القرن السَّابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يَتَّفِقُ اليوم مع العلوم الحديثة؟ ليس هناك مجال للشَّكِّ فَنَصُّ القرآن الذي نملكُ اليومَ هو النَّصُّ الأَوَّلُ نفسه، ومن ذا الذي كان في عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافةً علميَّةً تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلميَّةَ؟ حقاً إنَّ في إشارتِ القرآن قضايا ذاتَ صبغةٍ علميَّةٍ تثيرُ الدَّهشةَ.

ففي القضايا التي تخضع للملاحظة مثل تطور الجنين يمكن مقابلة مختلف المراحل موصوفة في القرآن مع معطيات علم الأجنة الحديثة لمعرفة مدى اتفاق الآياتِ القرآنيَّة فيها مع العلم(١).

فانظر إلى عظمةِ القرآنِ الكريم وقُوَّةِ أسلوبه، وطريقته في التَّعْبيرِ عن تلكَ الحقائقِ العلميَّةِ المتنوعة - سواء أكانت تشريعيَّةً أم اقتصاديَّةً أم اجتماعيَّةً أم سياسيَّةً أم تربويَّةً أم طبيَّةً أم فلكيَّةً أم غيرَ ذلك - كيف اتَّسعَ التعبيرُ عن ذلك لكلِّ العصور وكلِّ العقول على اختلاف مداركها وتفاوت أفهامها وَتَنَوُّعِ ثقافاتها، حيث خاطبَ الجميعَ بلفظٍ واحد، ففهم منه أهلُ كلِّ عصرٍ مايلائمهم، فهمه أهلُ عَصْرِ الخيلِ والبغالِ والحمير، وفهمه أهل عصر العرباتِ والقاطرات، كما فهمه أهلُ عصرِ الطَّائراتِ والمركباتِ الفضائيَّةِ وسيظلُّ النَّاسُ يفهمونه مهما امتَدَّ عُمُرُ الدنيا وتقدَّمت العلومُ والمعارفُ، فسبحان اللّهِ العظيمِ ما أعظَمَ كلماتِه، وللّه درُّ التنزيلِ ما أبلغَ عباراتِه!!.

١- انظر: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ص ١٤٤-١٤٨.

الثَّاني: التَّفَكرُّ في وجودِ الإنسانِ ومصيرِه:

وذلك بأن يتفكر في سرِّ وجودِ الإنسانِ ومصيره من خلالِ آياتِ القرآنِ، وإمعانِ النَّظر في أنَّهُ لا يخلو في الآخرة من دخول إحدى الدارين ٠٠ الجنَّة أو النَّار، وأنَّ هذه الحياة هي فرصته الأولى والأخيرة لاختيار إحدى الدَّارين، وأن لا مجال للتدارك متى ما بلغت الروحُ الحُلْقُومَ.

وذلك كالتَّفكُّر في مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (١). فإنَّ التَّأمُّلَ في مثل هذه الآيات، وتقليبَ الفكرِ في معانيها وتبصر ما ترمي إليه، يفتحُ أمامَ المتفكِّرِ آفاقاً من المعرفةِ بالمصيرِ المحتومِ، ويمنحه نوراً يبدد ظلماتِ الغفلاتِ والأهواء، ودواء لقسوة القلوب وجلاء لأدرانها، ومجال الانتفاع بهذا النوع من التدبر كبير، وقوامه على كثرة التكرار مع حضورِ القلبِ وجمعِ الهمَّةِ، والتَّجرُّدِ من الصوارف والمعوقات.

الثَّالث: التَّفَكُّر لاستخراج أسرارِ القرآنِ:

وذلك بأن يتفكر في آياتِ الكتابِ لاستخراجِ مافيها من أسرارٍ وحكمٍ وأحكامٍ ومعارفَ وإشاراتٍ وذلك كالتَّأمُّلِ في آياتِ التَّوحيدِ والأحكام والقصص، والتفكر في الآيات التي تتحدَّثُ عن الكونِ والاجتماعِ والسياسةِ والاقتصادِ والعلاقاتِ الأسريَّة، وما إلى ذلك من النظمِ والمبادئ والقيم والأخلاق التي تزخر بها أياتُ الكتابِ المجيد، ولهذا النَّوع من التدبر أهله من العلماء والمتخصصين بشرط تقيدهم بقواعد التدبر وضوابط التفسير.

وبحرُ هذا النَّوع من التدبر عميقٌ والسِّباحة فيه خطيرة، وقد غرق فيه كثيرون من القدامى والمُحْدَثين ومردُّ ذلك إلى التحلل من الضَّوابط، وتفكيك الكلمات والجمل القرآنية – على ماسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى – كما قد انتفع به كثيرون – أيضاً – من القدامى والمحدثين، وكشفوا عن أسرارٍ عظيمةٍ وكنوزٍ ثمينة، ولم يزل فضلُ اللّه تعالى يَنْهَلُّ على قلوبِ العارفين من عباده على مَرِّ العصورِ وتعاقبِ الدُّهورِ، فيظهر لأهل كلِّ عصر ما لم يظهر لغيرهم من أسرار كلام اللّه تعالى التي لا تحد ولا تحصر، وصدق الله العظيم إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢).

١- سورة النَّازعات، الآيات: ٣٧-٤١.

٢- سورة فصلت، آية: ٥٣.

أمَّا القسمان الأوَّلان: فلا كلام لنا - هنا - فيهما، إذ البابُ مفتوحٌ لكلّ من شاء ذلك، بل الخلق كلُّهم مدعوون إلى مثل هذا التدبر، والنفع فيه محتوم - بإذن الله تعالى - لمن راعى شروطه الآتية، غير أنَّ النَّاسَ فيه يتفاوتون على حسبِ عمقِ التفكيرِ وإمعان النظر وسلامة القصد وحسن النية وصدق التَّوجهِ.

وأهمُّ ما يشترطُ في هذين القسمين:

١- أن يفهمَ المعنى العام للآية التي يتدبرها ، إذ تدبر الكلام بدون فهم معانيه لايمكن(١).

٢- أن يفكرَ بعقلٍ حُرٍّ مُتَجَرِّدٍ.

٣- أن يكونَ حاضرَ القلبِ يشهد أنه المعني بالخطاب.

٤- أن يكرر الآية الكريمة التي يشعر أنَّها أثَّرَتْ فيه، ويردد تلاوتها مع الخشوع والتفكر فيها.

٥- أن يحذر من حجب التدبر وموانعه، ويجتهد في إزالتها والتطهر منها.

وهذا النَّوعُ من التدبر لا يتوقَّفُ على معرفة وجوه البلاغة ودقائق التفسير وعظمة التَّشريع، وما إلى ذلك من وجوهِ الإعجازِ المتعدِّدة التي احتوت عليها الآياتُ الكريماتُ، وإنَّما يكفيه ملاحظة ما تقدم من الشروط، إذ الهدفُ إنما هو تحريكُ القلوبِ واستنهاضُ الهمَّة للعمل الذي هو المقصودُ الأعظمُ من تلاوةِ القرآنِ الكريمِ والتفكر فيه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾(٢) قال مجاهد: «ألقى السمع» أي: لا يحدث نفسه بغيره «وهو شهيد» يعني: شاهد القلب»(٣) وقد جعل اللّه تعالى ذلك مُيَسَّراً لمن أراد، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾(٤)

وأمَّا القسم الثالث، وهو تدبر الآيات لاستخراج ما تضمنته من حكم وأحكام، وأسرار وإشارات، وما إلى ذلك من وجوهِ الإعجازِ والعلم والمعارف المتعددة التي اشتملَ عليها كتابُ اللّهِ تعالى: فهو محلُّ بحثنا الذي يرتكز على دعامتين:

الأولى: ألهذا النوع من التدبر شروطٌ زائدةٌ على ما تَقَدَّمَ في القسمين السَّابقين، يلزم توافرها فيمن يريد أن يقدم عليه؟ أم أنَّ الباب مفتوحٌ لكلِّ أحد كما في القسمين السَّابقين؟.

١- انظر: مقدمة في أصول التفسيرص ٣٦.
٢- سورة ق آية: ٣٧.
٣- انظر: تفسير مجاهد ص ٦١٢.
٤- سورة القمر، الآيات: ٧و٢٢و٣٢و٤٠.

الثَّانية: هل يشترطُ أن نقفَ على كلِّ إشاراتِ القرآنِ، وأن نجدَ فيه جواباً عن كلِّ مستجدات الحياة؟.

وفي جواب الدّعامة الأولى نقول:

نعم، إنَّ لهذا النوع من التدبر شروطاً يلزم توافرها في المتدبر، من أبرزها:

١- **أن يكونَ على علم بالدّراساتِ القرآنيَّةِ**، ومن أهمِّها: علمُ أسبابِ النزولِ، وعلمُ المكيِّ والمدنيِّ، وعلمُ النَّاسخِ والمنسوخِ.

٢- **أن يَتَعلَّمَ أصولَ التفسير وقواعدَهُ**، ومن أهمِّها: تفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ، وتفسيرُ القرآنِ بالسُّنَّةِ وتفسيرُ القرآنِ بأقوال الصَّحابةِ - رضي الله تعالى عنهم - ، وهو المسمَّى بالتفسير المأثور.

٣- **أن يتعلَّمَ قواعدَ اللغةِ العربيَّةِ ووجوهَ البلاغةِ فيها** من حيثُ إن الكتابَ الكريمَ نزلَ بهذه اللغةِ، وهو في الدَّرجة العليا منها، فلا يتأتى التعمق في فهمه إلا بالإلمام بلغته.

٤- **أن يَطَّلِعَ على ماذكره المفسرون القدامى والمُحْدثون** ليكونَ على درايةٍ بمناهجهم وطرق استنباطهم، وليحرص على تنويع تلك المصادر وتعدد اتجاهاتها.

٥- **أن يراعيَ ارتباطَ الجملة القرآنيَّةِ بموضوع السُّورة**، وارتباطَها الموضوعيَّ بما تَفَرَّقَ في القرآن المجيد حيثُ إنَّ الارتباطَ الأَوَّلَ يتطلَّبُ من المتدبر للنص القرآني أن يبحثَ عن النَّسقِ الذي يكشف عن التلاحم أو التناسب بين معاني جمل الآية القرآنية ووحدة موضوع السورة، وإنَّ الارتباطَ الثَّاني يتطلَّب من المُتَدَبِّرِ أن يَتَتَبَّعَ ما في القرآن من نصوصٍ ذاتِ دلالاتٍ تشتركُ ولو بوجهٍ من الوجوه مع المعنى الذي يبحث عنه في موضوع واحد، ليكشف موقع هذا المعنى من جملة الموضوع (١).

وهذا أمر لازم وفي غاية الأهمية، إذ إنَّ تفكيكَ الجملةِ القرآنيةِ وتفسيرَ الكلماتِ والجملِ بعيداً عن السِّباق واللحاق، وعدم ملاحظة ارتباطها بما يشتركُ معها في آياتِ الكتابِ الكريمِ، أَوْقَعَ في تأويلاتٍ فاسدةٍ وانحرافاتٍ خطيرةٍ.

ومن القواعد المسلمة في أصول التفسير: أَنَّ القرآنَ يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بعضاً، فما أجمل منه في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان فقد بسط في موضع آخر (٢).

١- انظر: قواعد التدبر الأمثل ص ١٣و١٤.

٢- انظر: مقدمة في أصول التفسير ص ٩٣.

٦- **أن يراعيَ اللغةَ التي نزلَ بها القرآنُ** والمصطلحات التي استعملَها والبيئةَ التي نَزَلَ فيها، حيث إنَّ الإخلالَ بهذا وتفسير الكلمات القرآنية بالمصطلحات الحديثة أوقعَ في أفهامٍ فاسدةٍ في تدبر القرآن، والأمثلة على هذه الفهوم الخاطئة قد كثرت في أزمنة الناس هذه بسببِ ضعفِ اللغةِ والتحلل من ضوابطِ التفسيرِ وقواعده. وسنذكر طرفاً من ذلك عندما نتحدَّث عن الآياتِ الكونيَّةِ - إن شاء الله تعالى -.

إنَّ من ألمَّ بهذه العلوم ونحوها وبلغ هذا القدر من العلم والمعرفة، يصبح أهلاً للتأمل في الكتاب الكريم، وتدبر آياته، وهو مأجورٌ فيما توصَّلَ إليه من الفهمِ واستنباطِ الحكمِ والأحكامِ والوقوفِ على الأسرار، واستخراج ما تَيَسَّرَ من كنوز المعرفة التي يزخر بها القرآن، ما دامت تلك المعارفُ لا تصادم النُّصُوصَ، ولا تعارضُ ما أجمعت عليه العقولُ.

وأمَّا من لم يتأهل بعد لهذه المقامات فَلْيُرِحْ نفسه وَلْيُرِحِ النَّاسَ من الانحرافاتِ التي يقوده إليها فهمه الكليل وعلمه الضحيل.

وفي جواب الدِّعامة الثَّانية نقول: إنَّ من الخطأ البَيِّنِ الذي وقع فيه جمع من المفكرين في الزَّمن المتأخر الحرص على أن يجدوا في الكتاب العزيز إشارةً إلى كلِّ ما استجدَّ في حياة الناس، ولاسيما الاكتشافات والمخترعات، ومع كثرة الآيات التي تحدَّثَتْ عن العلم والعلماء وما تضمَّنَتْ من إشارات إلى كثير من المكتشفات التي ما كانت لتخطر ببال أحد من قبل، فإنه لا يمكن القول: إنَّ ذلك شامل لكلِّ جزئيات الحوادث والمستجدات، ذاك لأنَّ القرآن ليس كتاباً علمياً يبحث في الطِّبِّ والفلكِ والكيمياءِ والرِّياضياتِ ونحوها من كتبِ الطَّبيعةِ، **إنما هو كتابُ هدايةٍ وإرشادٍ**، وأيضاً فإنه ليس من السَّهل الوقوف على ذلك إنما يحتاج إلى معرفة شاملة وسبر العلوم الجامعة بين الناحيتين، ولكنَّا نقول: إنَّهُ لا يمكنُ أن نجدَ في القرآنِ الكريمِ ما يصادمُ حقيقةً من حقائقِ العلمِ مهما كان نوعها أو حقيقتها.

ولنذكر بعض النَّماذج لمن حاولوا تدبر آيات الكتاب دون أن تكون عندهم مُؤَهِّلاتُ التَّدَبُّرِ، ودون أن يرجعوا إلى من تقدمهم من المفسرين والباحثين، لنرى كيف كان نتيجة إطلاق العنان لأفكارهم دون التقيد بالضَّوابط المتقدمةِ ؟!.

نماذجُ مِنَ الانحرافاتِ المعاصِرَةِ

يمكن أن نَعُدَّ الدعوةَ إلى التَّجديدِ والإبداعِ والابتكارِ سلاحاً ذا حدَّين، فهو من جهة أمر

لا بدَّ منه لمسايرةِ حركةِ التَّطَوُّرِ العلميِّ وسبيل للنُّهوضِ به، والترفع عن الجمود والإخلاد إلى الدعة والكسل، والاكتفاء بالتقليد والتَّكرار الذي تزخر به مكتبات العصر الحديث في كثير من الكتب الجديدة مع ما لبعضها من محاسن العرض والتنسيق، وهو من جهة أخرى آفةٌ خطيرةٌ وشهوةٌ خفيَّةٌ أوقعت الكثيرين في حبالِ الانحرافِ والتَّطرف العلميِّ، بإتيانها على الأصول وهدمها للقواعد المسَّلمة، فباسم التَّجْديدِ والابتكارِ تُقْتَلُ اللغة، وتُحوَّرُ المعاني، وَتُدْفَنُ المسلَّماتُ، وتُنْسَفُ الثَّوابتُ.

والانحراف في تدبر القرآن آفة قديمة، وقع فيها كثير من المفكرين الذي جردوا أفكارهم من أصول التفسير وضوابطه، وقد نشأت فرق متعددة بنت أصولها على منهج العقل المجرد، ولم تقيد نفسها بتلك الضَّوابط، فجاءت بانحرافاتٍ واسعةٍ أنكرها عليهم جمهورُ العلماءِ وأئمة المحققين.

وليس غرضنا من هذا البحث إثارة تلك الانحرافات التي وضح زيفها وبان بطلانها، إنما نريد أن نذكر بعض النَّماذج من الانحرافات التي برزت في زماننا، حيث لا تزال تطالعنا بين الفينة والفينة أفكارٌ جديدةٌ يدَّعي أصحابها أَنَّهُمْ جاؤوا بجديدٍ، وَأَنَّها إنما اختمرت في عقولهم نتيجة تدبرهم لآياتِ الكتابِ الكريم، الذي دعانا ربنا تبارك وتعالى إلى تدبره وإمعان النظر فيه، وحاولت تنويع تلك النماذج وجعلها في مناحٍ مُتَعَدِّدَةٍ، تتناولُ العقيدةَ والأحكامَ والعلوم الكونيَّةَ، ثم نعرض لمناقشتها على وفق القواعد المقررة، لنرى هل أن ذلك هو التدبر الذي دعينا إليه، أم أنه من اتباع الهوى الذي نهينا عنه؟ واللّه تعالى هو الموفق لإصابة الحقِّ من ذلك بإذنه جلَّ في علاه.

فمن ذلك:

أَوَّلاً: في العقيدة :

قال اللّه سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾(١).

يقول الدكتور إبراهيم سليمان عيسى - وهو يتكلَّم على وظائفِ الجهازِ العصبيِّ - تحت عنوان: رؤية إسلامية لبعض الحقائق العلمية ، نشرته مجلة التربية التي تصدر في قطر (٢):

١- سورة ق، الآية: ١٦.

٢- العدد الخامس بعد المئة، السنة الثانية والعشرون - يونيو ١٩٩٣م- قطر - الدوحة.

«وإنّني كُلَّما أمعنتُ التفكيرَ في الجهاز العصبيِّ المركزيِّ الذي يتكوَّنُ من المخ والحبل الشَّوكي أدرك على الفور أنَّ اللّه يخلق كلّ فرد من بني آدم ومعه جهاز تسجيل خاصّ به، وهو جهاز تسجيل ذاتي...» ثم يقول: «وعلى هذا إذا ما تدبرنا قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١)، إذا تأملنا ذلك بعمق لوجدنا أنه لايمكن بحال من الأحوال أن يوجدَ جهازٌ خارجيٌّ مهما بلغت دقته يستطيعُ أن يعلمَ وسوسةَ النفس ونوازغَ الفكرِ ودواخلَ الصُّدورِ، وقد سبق القول في هذا الحديث أنَّ قدرة اللّهِ تَتَمَثَّلُ في كلِّ خلية، فهو سبحانه الموجه لها، ومن ثم يصبح أقرب من حبل الوريد، ويصبح بتوجيهه لخلايا المراكز الحسية وغيرها قادراً على أن يعلم السِّرَّ وأخفى، لأَنَّهُ موجودٌ في كلِّ خَلِّيةٍ» (٢).

أقول: هذا تدبر خطير، يصدم القواعد المسلَّمة في أصول الدين: وذلك:

١- أن الآية الكريمة تشير إلى علم اللّه تعالى الذي أحاط بكلِّ شيءٍ، وأنَّهُ جلَّ وعلا لطيفٌ خبيرٌ.

٢- لا تخفى عليه سبحانه وتعالى من خلقه خافية قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٣)، وقال: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(٤)، والدلائلُ القطعيَّةُ على هذا كثيرةٌ جداً ، وهو سبحانه وتعالى لايحتاج إلى واسطة أو جهاز في إدراك حقائق الأشياء وخفاياها، فالعلم صفة أزليَّةٌ قائمةٌ بذاتِ اللّهِ تعالى يتأتى بها كشفُ الأمورِ والإحاطةُ بها على ماهي عليه في الواقع، أو على ما ستكون عليه في المستقبل من غير سبق خفاء أو جهل عليه سبحانه وتعالى (٥).

٣- فقوله: لا يمكنُ بحال من الأحوال أن يوجد جهاز .. إلخ: يعارض قاعدة من قواعد الإيمان وهي: أنَّ قدرةَ اللّهِ تعالى لايعجزها شيءٌ، فالقدرةُ صفةٌ أزليَّةٌ قائمةٌ بذاتِ اللّهِ تعالى يتأتَّى بها إيجادُ كلِّ ممكن وإعدامه وتكييفه (٦).

١- سورة ق، الآيات: ١٦-١٨ وهي بتمامها: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾.

٢- انظر ص ٢٢٤-٢٢٥ من المجلة المذكورة.

٣- سورة هود، آية: ٥.

٤- سورة يونس، آية: ٦١.

٥- انظر: كبرى اليقينيات الكونية ص ١٢٠.

٦- انظر المرجع السابق ص١٢٢.

٤- والمذكوران في هذه الآيات هما ملكان من ملائكة الرَّحمن، مكلَّفان بتسجيل ما يعمله الإنسان من حسنات أو سيئات، وهما وإن لم يعلما هواجسَ الإنسانِ ولكن اللّه تعالى قادرٌ على إعلامهما بطريقة ما، أو أنَّ الكتابةَ خاصَّةٌ بأفعالِ الجوارح، لأنَّ أفعالَ القلوبِ من الغيبِ الذي لا يَعْلَمُهُ إلا اللّهُ تعالى (١).

٥- قوله: إنَّ اللّه تعالى هو الذي يوجِّهُ خلايا المراكز الحسية وغيرها: لا نزاع فيه، فهو المالك والمتصرف في ملكه، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢) ولكن ليس هذا سبب علم اللّه تعالى، لأنَّ علمه ذاتيٌّ لايحتاج إلى واسطة - كما تَقَدَّمَ-.

٦- قوله: لأنَّهُ موجود في كلِّ خلية: تعبير خطير، يؤدي إلى القول بالحلول والاتحاد، وهو مصادم للنُّصوصِ الصَّريحة، ومنها قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾(٣). فهو في عليائه - سبحانه وتعالى - مُنَزَّهٌ عن سماتِ المحدثين.

٧- ثمّ إنَّ ما ذكره من وجود جهاز تسجيل ذاتي داخل الإنسان، يحتاج إلى دليل من كتاب أو سنة صحيحة حتى نقولَ به، واللّه تعالى إنما ذكر الكتاب الذي يسجله الملكان، وهو الذي ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾(٤)، فإذا ما حاول الإنسان أن ينكر في بعض مواقف الآخرة شيئاً من أعماله أنطقَ اللّهُ جوارحَهُ كما جاء في الحديث الصَّحيح عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كُنَّا عندَ رسولِ اللّه ﷺ فَضَحِكَ فقالَ: هل تدرون مِمَّ أَضْحَكُ؟ قال قلنا: اللّهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ قال: من مخاطبةِ العبدِ رَبَّهُ يقولُ: ياربِّ ألم تجرني من الظلم؟ قال يقول: بلى، قال فيقولُ: فإني لا أجيزُ على نفسي إلا شاهداً مني قال فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلي بينه وبين الكلام قال فيقول: بعداً لكُنَّ وسُحْقاً فعنكُنَّ كنتُ أناضلُ (٥).

وإنا حين نتدبر الآية الكريمة على وفق الضَّوابط نفهم:

١- سئل سفيان - رحمه اللّه تعالى: كيف تعلم الملائكة أن العبد قد هَمَّ بحسنة أو سيئة؟ قال: إذا همَّ العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك، وإذا همَّ بسيئة وجدوا منه ريح النتن. أقول: ومثل هذا يقال في ذكر القلب دون اللسان، وفي المواضع التي يفارق فيها الكرام الكاتبون الإنسان وهي: الجماع والغسل والغائط- واللّه تعالى أعلم.
انظر: التفسير الكبير ٣١/٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٤/٣١١ و ١٩/٢٤٨، ورَجَّحَ النووي في شرح صحيح مسلم ١٧/١٦: أنَّ الملائكةَ تكتبُ ذكر القلب.

٢- سورة التكوير، آية: ٢٩.

٣- سورة الشورى، آية: ١١.

٤- سورة الإسراء، آية ١٤.

٥- أخرجه مسلم برقم ٢٢٦٩ في كتاب الزهد والرقائق ٤/٢٢٨٠-٢٢٨١.

أنَّ اللّه تبارك وتعالى أقسمَ وأكَّد القسم على أنَّهُ هو الذي خلق الإنسان وأوجده من العدم، فهو مالكه الذي يَتَصَرَّفُ فيه كيفَ يشاءُ، ويكلفه بما أراد، وهو العالمُ بهَوَاجِس نَفْسه وما يدبره في سره، لاتخفى عليه خافية - سبحانه وتعالى -، لأنَّه هو الذي خلقه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (١)، ولأنَّهُ هو الإلهُ العظيمُ العالم الذي أحاط بكلِّ شيء علماً ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (٢)، ومن كانت هذه صفته فكيف لا يعلمُ وساوسَ النُّفوس؟ والمراد بالوسوسة في قوله تعالى: ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾: ما يختلج في سرِّهِ وقلبه وضميره، أي: نعلم ما يخفي وما يُكِنُّ في نفسه (٣)، وهو سبحانه وتعالى أقرب إلى الإنسان من نفسه قرباً ذاتيًّا لا زمانيًّا ولا مكانيًّا، ولا متكيفاً بكيفية أصلاً (٤)، ومع هذا العلم وهذه القدرة فإنَّهُ جلَّ وعلا قد خلق ملائكة وَكَّلَهُمْ بهذا الإنسان، يكتبون أعماله لا يغادرون من ذلك شيئاً مهما دقَّ وقلَّ كما قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ (٥)، وهؤلاء الملائكةُ أقربُ إلى الإنسان من حبل الوريد - وهو العِرْقُ في باطن العُنُق - (٦). وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾، أي: نحن أقرب إليه من حبل وريده حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان الموكَّلان به، أي: نحن أعلم بأحواله فلا نحتاجُ إلى ملك يخبر، ولكنهما وُكِّلاَ به إلزاماً للحُجَّة وتوكيداً للأمر عليه (٧).

إنَّ الإنسان إذا ما تدبر هذا وتأمله فإنه يشهدُ قربَ رَبِّهِ تبارك وتعالى منه، وأَنَّهُ في قبضته وتحت سلطانه وقهره فيتقيه وتكثر في نفسه مخافته - جَلَّ وعلا - فينزجر عن أيِّ معصية قد يستخفي بها بل إنَّ ذلك سيثمر في نفسه قوة المراقبة، فيبذل جهده في المجاهدة حتى يصفو قلبه وتزكو نفسه، ويسبح في بحور المعرفة، ويصل إلى نور اليقين، يكون بصره حديداً في هذه الدنيا فيحاسب نفسه على الصَّغيرة والكبيرة قبل أن يفجأَهُ الموتُ، ويُكْشَفَ غطاؤه، فيبصر الحقيقة هناك، يوم لا ينفعه الإبصار شيئاً، حين يقال له: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٨). وهذا مقصد عظيم من مقاصد تدبر القرآن الكريم.

١- سورة الملك، آية: ١٤.

٢- سورة طه، آية: ٧ وتمامها «وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السِّرَّ وأخفى».

٣- انظر: الجامع لأحكام القرآن ٨/١٧، وفتح القدير ٧٥/٥.

٤- انظر: التفسير المظهري ٦٨/٩.

٥- سورة القمر، الآيتان: ٥٢و٥٣.

٦- الوريد: هو العرق في صفحة العنق يتصل بالكبد والقلب، وفيه مجاري الدم والروح، انظر غريب القرآن ص ٤١٨، ومفردات القرآن ص ٨٦٥، والنهاية ١٧٣/٥ مادة: ورد.

٧- انظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/١٩.

٨- سورة ق، آية: ٢٢.

هذا مانفهمه في المعنى الإجمالي لهذه الآية الكريمة في ضوء ما ذكره علماء التفسير، ونرى أن التأمل مهما توسع وامتدَّ، وأن كلّ ما ينبثق عن التدبر من استنتاجات ومعارف وحكم وأحكام - واللّه تعالى يفتح على عباده المتدبرين بما شاء - فإنها لا تخرج عن معنى ما ذكرناه، ولا تصادم القوعد الإيمانية التي منها: أنَّ علم اللّهِ تعالى لا يحتاجُ إلى قربٍ مكانيٍّ أو حلولٍ واتحادٍ - تعالى اللّه عن ذلك عُلُوًّا كبيراً -.

فائدة:

للمفسرين في بيان المراد من قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾

قولان:

الأوَّلُ: أنَّ ذلك بيانٌ لكمالِ علمِ الله تعالى، وعبارة عن قدرته على العبد، وكون العبد في قبضة القدرة والعلم، قد أحيط به، وتَفَرَّدت قدرتنا فيه، فأمرنا يجري فيه كما يجري الدم في عروقه بحبل الوريد.

فالقرب هو بالقدرة والسُّلْطان، إذ لا ينحجب عن علم اللّه تبارك وتعالى باطن ولا ظاهر، وكلّ قريب من الأجرام فبينه وبين قلب الإنسان حجب (١).

الثَّاني: أنَّ المراد بذلك ملائكته تعالى، فهم أقربُ إلى الإنسانِ من حبل وريده إليه، ذكر هذا ابن كثير - رحمه اللّه تعالى - وقال: ومن تأوله على العلم فإنما فرَّ لئلا يلزمَ حلولٌ أو اتحادٌ، وهما منفيان بالإجماع - تعالى اللّه وتقدَّسَ - ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾، كما قال في المحتضر: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾(٢)، يعني: ملائكته، وكما قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٣)، فالملائكة نزلت بالذِّكْرِ وهو القرآن بإذن اللّه عز وجل، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار اللّه جلَّ وعلا لهم على ذلك (٤).

* * * * *

- ومن ذلك: تدبر قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٥). للتوصل إلى أنَّ المراد بالظُّلم هنا مطلق الذُّنوب وليس

١- انظر: التفسير الكبير ١٦٢/٢٨-١٦٣، والمحرر الوجيز ٥٣٩/١٣-٥٤٠.

٢- سورة الواقعة، آية: ٨٥.

٣- سورة الحجر، آية: ٩.

٤- انظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٣٤٥/٤.

٥- سورة الأنعام آية: ٨٢.

الشِّرك فقط كما ذهب إليه المفسرون، جاء هذا الفهم في بحث للدكتور محمد كامل حسين حيث يقول – وهو يتكلَّم على معنى الظلم في القرآن الكريم:

وقد أراد المفسرون أن يجعلوا معنى الظلم في مثل هذه الآيات الشرك، وهو تعيين لا أرى ما يسوغه،وفي قوله تعالى:﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قالوا: هو الشِّرك، ولا أستطيع أن أفهمه على هذا الوجه فإنَّ المؤمن لا يكون مشركاً، إنما لَبَسَ إيمانَهُ بذنوبٍ كالتي تَدُلُّ عليها عبارة ظلم النفس، فيكون المعنى: ولم يلبسوا إيمانهم بذنوب يظلمون بها أنفسهم (١).

وهذا تَدَبُّرٌ غيرُ سديد، أَدَّى إليه عدمُ الرُّجوع إلى التفسير المأثور، ولو رجع إليه لرأى أنَّ النبي ﷺ فَسَّرَهُ بذلك، فقد جاء في الصحيحين عن عبد الله ابن مسعود – رضي اللّه تعالى عنه – قال: لما نزلت: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» شَقَّ ذلك على أصحابِ رسولِ اللّهِ ﷺ وقالو: أيُّنا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس كما تظنون، إنمَّا هو كما قال لقمان لابنه:﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. (٢) (٣).

فقد بَيَّنَ ﷺ للصحابة – رضي اللّه عنهم – أنَّ ظاهرَ الآيةِ غيرُ مرادٍ، وأنَّ الظلم ليس على إطلاقه وعمومه، بل هو من العامِّ الذي أُرِيدَ به الخاصُّ، فالمراد بالظلم أعلى أنواعه وهو الشِّرْكُ كما قال لقمان لابنه، فالصَّحابة – رضي الله عنهم – حملوا الظُّلم على عمومه المتبادر منه وهو وضع الشيء في غير موضعه – وهو مخالفة الشَّرع – فَشَقَّ عليهم إلى أن أعلمهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بالمراد بهذا الظلم (٤).

وأَمَّا قوله: ولا أستطيع أن أفهمه على هذا الوجه ... إلخ: فإنَّ اللبس جاء من أن خلط الإيمان بالشرك لا يتصور، وليس الأمر كما توهم، لأن المراد: أنه لم تحصل لهم الصِّفتان كفر متأخِّر عن إيمان متقدِّم، أي: لم يرتدوا. ويحتمل أن يراد: أنهم لم يجمعوا بينهما ظاهراً وباطناً، أي: لم ينافقوا. ذكر هذا الحافظ ابن حجر وقال: وهذا أوجه، ولهذا عقبه المصنف – أي: البخاري – بباب علامات النفاق، وهذا من بديع ترتيبه – رحمهما اللّه تعالى – (٥).

١– انظر: مجلة اللغة العربية ٨١/١٣.

٢– سورة لقمان آية: ١٣.

٣–متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٣٢في كتاب الإيمان–باب: ظلم دون ظلم١/١٨٣، ومسلم برقم ١٢٤في كتاب الإيمان–باب: صدق الإيمان وإخلاصه١/١١٤–١١٥.

٤–انظر: النووي على مسلم٢/١٤٣، وفتح الباري١/١٨٤.

٥–انظر: فتح الباري١/١٨٥.

ثم إن من فوائد الحديث: أن من لم يشرك باللّه تعالى شيئاً فله الأمن وهو مهتد (١). على خلاف ما ذهب إليه الدكتور في فهمه السَّابق.

ثانياً: في الأحكام:

من القضايا التي شغلت بال الناس في القديم والحديث: قضية المرأة بوجهٍ عامٍّ، وقضيةُ تَعَدُّدِ الزَّوجات بوجهٍ خاصٍّ، وقد اضطربت الحضاراتُ القديمةُ والحديثةُ بشأن المرأة ما بين إفراط وتفريط، والأمر في هذا واضح وبين، قد تولَّت الدِّراسات المتخصصة عرضه وتفصيل القول فيه.

وقد دار جدلٌ كبيرٌ - ولا يزال - حولَ مسألة تَعَدُّدِ الزَّوجات، ما بين تأييد ومعارضة، وليس غرضنا الآن بحث ذلك، وإنما نريد أن نُبَيِّنَ ما وصلَ إليه بعضهم نتيجة تدبره لآيتين في كتاب اللّه تحدثتا عن هذا الموضوع وهما:

قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ﴾(٣).

فيقول الدكتور مصطفى محمود: والواقع أنَّ تَعَدُّدَ الزَّوجاتِ للمسلم مشروطٌ بشرطٍ صعبٍ وشاقٍّ هو العدل ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾، ويؤكِّد اللّه استحالة هذا العدل ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۚ﴾، إنه الأمر الممكن الذي لن يقدر عليه أحد (٤).

وهذا فهم خاطئ، وتدبر غير سليم، يؤدي إلى القول بتناقض القرآن وخلو التشريع من الحكمة - تعالى اللّه عن ذلك - إذ كيف يقرن إباحة التَّعدد بأمر مستحيل؟!.

ونناقش الدكتور مصطفى - من خلال كلامه - في ثلاث نقاط:

١- قوله: إنَّ التعدد مشروطٌ بشرطٍ صَعْبٍ وشاقٍّ هو العدل.

٢- قوله: ويؤكِّد اللّه استحالة هذا العدل.

٣- قوله: إنَّهُ الأمرُ الممكنُ الذي لن يَقْدِرَ عليه أحدٌ.

١-انظر المرجع السابق، والنووي على مسلم ١٤٣/٢.

٢-سورة النساء، آية: ٣.

٣-سورة النساء، آية: ١٢٩.

٤-انظر: القرآن محاولة لفهم عصري ص٢٧٥.

وهذه النقاط الثلاث كلها بمعنى ، يؤدي إلى نتيجة واحدة وهي: المنع من التعدد.

أمَّا النقطةُ الأولى: فَمُسَلَّمَةٌ، ولكنها لا تؤيد ما ادَّعاهُ من منع التعدد، لأنه تكليفٌ فلا يخلو من مشقة، غير أنها محتملة كسائر التكاليف، والناس في هذا متفاوتون بحسب قدراتهم الجسديَّةِ والماليَّةِ والنفسيَّةِ.

وهذا العدل شرطٌ لازمٌ والمراد به: العدلُ فيما هو في قدرةِ المرءِ وملكه، وَيَتَمَثَّلُ في المبيت والنفقة، وكلّ ما يقدرُ الزَّوْجُ على رعايةِ العدلِ فيه، ويكفي للعدول عنه مجرَّد الظَّنِّ على عدم القدرة عليه.

وأمَّا الثانية: فكلامه فيها غير مستقيم، إذ العدل في هذه غيره في تلك، ولذا قال تعالى بعدها: ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ ،وفَسَّرَهُ العلماء **بميل القلب** فإنه ليس في قدرة المرء ولا في ملكه، لأنَّ القلوب بيدِ الرَّحمن يُقَلِّبُهَا كيفَ يَشَاءُ (١)، فالمعنى: أنكم لستم منهيين عن حصول التفاوت في الميل القلبيِّ، لأَنَّ ذلك خارجٌ عن وسعكم، ولكنكم منهيون عن إظهارِ ذلك التَّفاوُتِ في القول والفعل (٢)، وقد كان نبينا ﷺ يقولُ وهوَ يَعْدِلُ بينَ نسائِهِ: اللهمَّ هذا قَسْمِي فيما أَمْلِكُ فلا تَلُمْنِي فيما تَمْلِكُ ولاَ أَمْلِكُ (٣).

وهذا أمر معلوم لدى أهل العلم، إذ لو كان المراد بالعدل في الموضعين واحداً لأدَّى إلى التَّناقض الذي يتحاشى عنه كلام اللّه تعالى – كما تقدم– ، ألا ترى أنَّ اللّه تعالى قد منع – في الآية التي شرع فيها التعدد وإثر ذكر ما أباحه مباشرة – من هذا التعدد، وأوجبَ الاقتصارَ على واحدة، عند مجرد الخوف من عدم العدل فضلاً عن تيقنه، فقال عَزَّ قائلاً: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾(٤).

١–ففي الصحيح عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك. أخرجه مسلم برقم ٢٦٥٤ في كتاب القدر ٠– باب: تصريف اللّه تعالى القلوب كيف يشاء ٤/٢٠٤٥.

٢– انظر: التفسير الكبير ١١/٦٨.

٣– أخرجه أبو داود – واللفظ له – برقم ٢١٢٧ في كتاب النكاح – في القَسْم بين النساء ٣/٤٢، والنسائي برقم ٣٩٤٣ في كتاب عشرة النساء – باب: ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض ٧/٦٤ وقال: أرسله حماد بن زيد، والترمذي برقم ١١٤٠ في كتاب النكاح – باب: ماجاء في التسوية بين الضرائر ٣/٤٤٦ وقال: حديث عائشة هكذا ، رواه غير واحد عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد اللّه بن زيد عن عائشة، ورواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبي قلابة مرسلاً، وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة، وقال ابن كثير ١/٨٥٧: وهذا إسناد صحيح، لكن قال الترمذي: رواه حماد بن زيد .. إلخ.

٤– انظر: التفسير التحليلي لسورة النساء ص ١٩٢.

وأمّا الثالثة: فكلامٌ متناقضٌ، إذ كيف يكون الأمر ممكناً – في التشريع – ثم لا يقدر عليه أحد؟ اللهمَّ إلا أن يريد العدل بمعناه الثاني – وهو مالم يرد له ذكر في كلامه – لأنَّ محله القلب وهو ملك اللّه تعالى وخلقه، وليس في قدرة العبد أن يتحكم فيه ليساوي بين زوجاته، ولذا فإنَّ نَبِيَّنَا ﷺ وَهُوَ مَنْ هُوَ مَا مَلَكَ ذلك ولا قَدَرَ عليه – كما تقدَّم –، وقد أعذرنا ربنا تبارك وتعالى في ذلك ما دمنا محققين للعدل بمعناه الأول، والحمد لله ربِّ العالمين.

أَمَّا قوله بعد ذلك: «إننا مازلنا في منطقة الزوجة الواحدة، والإباحة عليها قيود ثقيلة، والحكمة في هذه الإباحة الظاهرة بأربع: أنَّ الجاهليَّ كان يتزوَّجُ بعشر نساء وعشرين، فجاءت الآية تحديداً لا إطلاقاً وتكثيراً كما يتصور قارئ اليوم». فكلام غير دقيق، وارتباطه بكلامه السَّابق غير واضح، ونعود فنقول: كيف تكونُ الإباحةُ في شيءٍ مستحيلٍ لن يقدرَ عليه أحدٌ؟! وقارئ اليوم لا يفهم من النَّصِّ أكثر من التَّحْديدِ بأربع – كما هو ظاهر –، فماذا يريد الدكتور من الإطلاق والتكثير، وهل هو متعلِّق بالمعدِّدين أم المعدَّدات ؟!.

إنَّ سوء الفهم هذا والتخبط في المعاني المرادة في هذه القضية ليس مقصوراً على الدكتور مصطفى محمود، فقد لَفَّ لِفَّهُ آخرون، بل هو منتشرٌ بين أوساطِ النَّاس بسببِ عدمِ الرُّجوعِ إلى أئمة التَّفسير من الصَّحابة فمن بعدهم، وبسبب عدم التقيد بقواعد التَّفسير وضوابطه، ولو أنهم رجعوا إلى أبرز تلك القواعد لأدركوا أنهم ابتعدوا كثيراً عن نور الحق، وجانبوا سلامة التفكير.

ولنذكر الآن طرفاً من أقوال العلماء في بيان وجه الحقِّ في هذه المسألة، فمن ذلك:

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾: أخبر تعالى بنفي الاستطاعة في العدل بينَ النِّساء، وذلك في ميلِ الطَّبْعِ بالمحبَّةِ والجماعِ والحظِّ من القلب، فوصف اللّه تعالى حالة البشر وأنهم بحكم الخلقة لا يملكون ميلَ قلوبهم إلى بعض دون بعض، ولهذا كان عليه السَّلام يقول: اللهُمَّ إنَّ هذه قسْمَتي فيما أَملِكُ فلا تَلُمْنِي فيما تَمْلِكُ ولا أَمْلِكُ، ثم نهى فقال: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾: قال مجاهد: لا تتعمدوا الإساءة بل الزموا التسوية في القسمة والنفقة لأنَّ هذا مما يُسْتَطَاعُ[1].

فتمام العدل: أن يُسَوِّيَ بين زوجاته بالقِسْمَةِ والنَّفَقَةِ والتَّعَهُّدِ والنَّظَرِ والإقبالِ والمكالمةِ والمفاكهةِ والجماعِ وغيرها، وهذا كلُّهُ غيرُ مستطاعٍ للإنسان مهما كان حريصاً في تحري

١- انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٠٧/٥، وتفسير مجاهد ص ١٧٧-١٧٨ وعبارته أخصر مما ذكره القرطبي.

ذلك، ولذلك فَرَضَ اللّهُ العدلَ في النفقةِ والكسوةِ والمبيتِ ولم يفرض فيما سوى ذلك [1].

وهذا أمرٌ يكادُ يكونُ إجماعاً بين المفسِّرين، وهو التفرقة بين العدلين في الآيتين الكريمتين في سورة النساء.

فالتَّدَبُّرُ الأمثلُ للآيتين الكريمتين:

أنَّ اللّه تعالى حينَ أباحَ تعدد الزَّوجات اشترطَ - وهو الحَكَمُ العَدْلُ جَلَّ جلالُهُ - على الأزواج أن يعدلوا بين زوجاتهم لِيَرْضَينَ جميعاً وَتَقَرَّ بذلك أَعْيُنُهُنَّ، ولكنَّهُ - وهو العليم الخبير- عَلِمَ حالَ الأزواج وما هم عليه من الضَّعْف وعدم القدرة على التحكم بمشاعرهم وأحاسيسهم، وعلم - أيضاً - حال الزوجات وأنَّهُنَّ لَسْنَ على درجةٍ سواء في تكوينهن الشَّخْصيِّ و النَّفْسيِّ، وعلم ما هُنَّ عليه من التَّفاوت في معاملة أزواجهن، وطريقة جذبهم وكسب قلوبهم، فشمل الجميل بحكمته وغمرهم بواسع رحمته، فحقق للزَّوجات ما يَصْبُونَ إليه من السَّكن الآمن، والكفايةِ التَّامَّةِ في حوائج الحياة، وَضَمِنَ لهن حياةَ الطمأنينةِ والاستقرار في عشٍّ زوجيَّةٍ هانيءٍ سعيدٍ، وَحَقَّقَ - أيضاً - للأزواج رغبات قلوبهم، وراعى توجهاتها، فلم يحاسبهم - سبحانه وتعالى - على ذلك ما داموا مجتهدين في إخفاء ذلك وستره، إنَّها دعوةٌ ربانيَّةٌ إلى تحقيقِ سعادةِ الجميع.

فأيُّ عدلٍ هو أسمى من هذا العدلِ؟ وأيُّ تشريعٍ هو أقومُ من تشريعِ العليمِ الحكيمِ؟.

فائدة:

ليس غرضنا هنا التحدث عن حكمة تعدد الزوجات وما في ذلك من المحاسن والضرورات، وأنَّهُ حقُّ المرأة مثلما هو حقُّ الرَّجل، فقد أولته الدِّراساتُ المتخصصةُ عنايةً فائقةً، وأظهرت أنه الحلُّ الأوحدُ لما تعانيه المجتمعاتُ من تفشي العنوسةِ وانتشارِ الفساد، وإنما أردنا أن نشيرَ بهذه الفائدة إلى أنَّ حكم تَعَدُّدِ الزَّوجات وإن كان في الأصل مباحاً إلاَّ أنَّا نجدُ أنَّ اللّه تعالى قد رَغَّبَ فيه حين ذكره لعباده وذلك: في قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾، حيثُ عَبَّرَ بلفظين كريمين وهما: (ما) و (طاب)، فلفت نظر الرجال إلى الميزة والصِّفة في النساء والمحببة لهن إلى الرجال وهي طيب المرأة في نفس الرَّجل ووقوعها من قلبه موقعاً حسناً، أو بعبارة واحدة: استطابة نفسه لها، وهذا هو سرُّ التعبير بـ (ما) دون (من)، إذ من المعلوم أنَّ الصِّفة شيءٌ لا يعقلُ، وقوله: (طاب لكم) أي:

١- انظر: الأساس في التفسير ٢/١١٩٥.

لذَّ لكم واستطابته أنفسكم ظاهر في الترغيب على مالا يخفى (١).

فانظر إلى هذين اللفظين الكريمين كيفَ رَغَّبَ اللّهُ تعالى بهما الرِّجال في تعديد الزوجات؟ ثم تَأَمَّلْ هل يمكنُ أن يكونَ هذا في أمرٍ مستحيلٍ ؟!.

ثالثاً: الآياتُ الكونيَّةُ:

لقد وجد العلماء المتأخِّرونَ مرتعاً خصباً في تَدَبُّرِ الآياتِ الكونيَّةِ واستنباط ما يؤيد ما تَوَصَّلَ إليه العلمُ الحديثُ من الاخترعاتِ والاكتشافاتِ التي لم تُعْرَفْ من قبلُ، وحصلوا من ذلك على قدرٍ طيبٍ من الفهم والاستنتاج، ولهم في ذلك جهودٌ مشكورةٌ وسعيٌ مباركٌ أَوْضَحَ لذي عينين أنَّ ما في كتاب اللّه تعالى لايمكن أن يُصَادِمَ ما تَوَصَّلَ إليه العلمُ الصَّحيحُ، لأنَّ ربَّ الكونِ ومنزلَ القرآنِ واحدٌ - جلَّ جلاله-، وقد أشارت الآية الكريمة إلى حصول هذه المفاهيم عند الناس لإقامة الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾(٢).

غير أنَّ الولع الشَّديد في ذلك، والرغبة الملحة في الإتيان بالجديد، أَدَّتْ إلى انحراف في ذلك بسبب الخروج عن الضَّوابطِ التي وضعها العلماءُ، ثم إنَّ تصور بعضهم أنَّ كلَّ مخترع ومبتكر لا بدَّ أن يكون في القرآن، جعلهم يبذلون قصارى جهودهم للكشف عن ذلك ولو بلَيِّ عُنُقِ الآياتِ وتحميلِ الألفاظِ ما لا تحتملُهُ، **وفاتَهُمْ أنَّ القرآنَ ليس بدائرة معارفَ تفصيليَّة، إنما هو كتابُ هدايةٍ وإرشاد**، وما أشار إليه من تلك المخترعاتِ لا يخرجُ عن هذه الحقيقة.

وأمثلة هذا الباب كثيرة، وقد أخذ التفسير العلمي حيزاً لا بأس به في المكتبة التفسيرية، وسنورد هنا بعض النماذج ، فمن ذلك:

تدبر قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٣).

للتوصل إلى أنَّ القرآن الكريم قد أشار إلى فكرة تحطيم الذرة، حيث ذكر أنَّ هناك ما هو أصغر منها.

١- للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة بحث مفصل لهذه القضية في كتابه: التفسير التحليلي لسورة النساء ص ١٨٨ فما بعدها، وانظر فيه ص ١٩٨ - بتصرف.

٢- سورة فصلت آية: ٥٣.

٣- سورة يونس آية: ٦١.

وهذا التدبر مردودٌ لإخلاله بأصول التفسير المسلَّمة، والتي منها: أَنَّهُ لا يجوزُ تفسيرُ القرآنِ باصطلاحٍ حادثٍ بعد نزوله، لأنَّنا لو فعلنا ذلك لعدنا على معاني القرآن بالتَّحويرِ والتَّبْديلِ، أو بالإبطال والإلغاء (١)، فإنَّ كلمة ذرة عند العرب في عصر نزول القرآن - وبالتالي في القرآن - لا تَدُلُّ على المعنى الاصطلاحيِّ الذي نعرفه اليوم في علم الفيزياء (٢).

وقد جاء تفسير الذَّرَّةِ بالنَّمْلَةِ الحمراءِ الصَّغيرة (٣).

والتَّدَبُّرُ الصَّحيحُ للآيةِ الكريمة: أنَّ اللّه تبارك وتعالى يذكر عباده بإحاطة علمه جلَّ وعلا بكلِّ شيء مهما دَقَّ وصغر، وأَنَّهُ لا يغيب عن علمه وبصره - سبحانه وتعالى - أيُّ شيء وإن تناهى في الصِّغر أو تناهى في الكبر، وسواء كان ذلك في الأرض أو في السَّماء، ومع هذا العلم المحيط بكلِّ شيء فإنَّ تلكَ المعلوماتِ مُسَجَّلَةٌ في كتابٍ بَيِّنٍ وواضحٍ لا يخفى على من ينظر فيه.

وبمثل هذا يرد على من فسر كلمة (غواص) و (يغوصون) في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ (٤)، وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ (٥): بالغواصات المعروفة في زماننا، التي تجولُ في قاعِ البحارِ، وأنَّها كانت موجودة على عهد سيدنا سليمان - عليه السلام -، حيث أشار القرآن إلى ذلك في الآيتين المتقدمتين، فيكون قد سبق العلم الحديث في الإخبار عن ذلك (٦).

ومثل هذا: تدبر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (٧) للتوصل إلى أنَّ النَّفْسَ الواحدة هو الإلكترون - يعني الشّحنة الكهربية الموجبة في الذَّرة - وزوجها الذي خلق منها هو البروتون - أي: الشّحنة السَّالبة في الذّرة -.

وهذا تَدَبُّرٌ باطل - كسابقه - نَتَجَ من تفكيكِ الجملةِ القرآنيةِ، وتفسيرِ المفرداتِ بعد قطع

١- انظر: البيان في علوم القرآن ص ٣٨، وراجع مبحث: الإعجاز العلمي في كتاب علوم القرآن للدكتور عدنان زرزور، وكتابه: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، التفسير العلمي لآيات الكون والطبيعة - شروط التفسير العلمي ص ٢٤٣-٢٤٨.

٢- انظر: العقل والعلم والقرآن ص ٢٩٣-٢٩٤. والذرة - على هذا -: هي أصغر جزء في عنصرٍ ما، يصح أن يدخل في التفاعلات الكيمائية. انظر المعجم الوسيط ١/ ٣١٠.

٣- انظر غريب القرآن ص ١٢٧ و ١٦٧ وتفسير البغوي ٢/ ٣٥٩.

٤- سورة ص، الآية: ٣٧.

٥- سورة الأنبياء، الآية: ٨٢ وتمامها: «ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين».

٦- نقله الدكتور عدنان زرزور في كتابه: مدخل الى تفسير القرآن وعلومه ص ٢٤٨ عن كتاب: القرآن ينبوع العلوم والعرفان للأستاذ علي فكري - الجزء الثالث -، ولم يتيسر لي الوقوف على هذا الجزء.

٧- سورة النساء، الآية: ١.

أواصرها عن السِّباق واللحاق.

ولدى التَّدَبُّرِ الصَّحيح للاية الكريمة نرى أنَّ الألفاظ تأبى هذا الفهم، وأنَّ السِّياق لا يدلُّ على شيء من ذلك، بل إنَّهُ يرفضه تماماً -كما يقول الدكتور القرضاوي [1]- بدليل قوله تعالى في تتمة الآية ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.

فالحديث - هنا - عن النَّفْسِ البشريَّةِ ذاتِ الأصلِ الواحدِ وهو أبونا آدم - عليه السَّلام -، والخطاب لعموم النَّاس، وفيه إشارةٌ إلى تمامِ القدرةِ وبديعِ الصَّنْعَةِ المقتضي اتِّقاءَ الخالقِ المبدعِ والانقياد لأوامره - جلَّ في علاه - [2].

إنَّ التَّدَبُّرَ الصَّحيحَ يقتضينا جمعَ الآياتِ التي تَتَحَدَّثُ عن موضوعٍ واحدٍ حيثُ وجدت في كتاب اللّه تعالى والتأمل فيها مجتمعةً للوصولِ إلى معرفةِ المرادِ، فكيف نغفلُ ملاحظةَ الرَّبط في الآيةِ الواحدة ؟!.

ولكن يبدو أنَّ بعضَ المفكِّرينَ رأوا أنَّ هذا البابَ مفتوحٌ، وأنه حمًى مستباحٌ ومتاعٌ مشاعٌ، فهم يَدْلِفُونَ إليه متى شاءوا وكيفما أرادوا، فَتَهَجَّمُوا على كتابِ اللّه تعالى، وأعملوا آراءهم في آياته، دون أن يمتلكوا شيئاً من أدوات التَّأَمُّلِ وقواعدِ التَّدَبُّرِ، فلا يَزالونَ يخرجون على الناس بأفهامهم السَّقيمة بين الحين والآخر، كقول بعضهم: إنَّ العرب كانوا يُكْرِهونَ بناتهم على الزِّنى، وقد نهاهم اللّه تعالى عن ذلك حيث قال: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [3] !! حيث فسّر الفتياتِ بالبنات، مع أنَّ المراد بهن هنا: الإماء، كما في سبب النزول الذي أخرجه مسلم [4].

إنَّ التحلل من هذه الضَّوابط يُؤَدِّي - لا محالة - إلى تَخَبُّطٍ في الفهم لا نهايةَ له ولا حدود - كما تَقَدَّمَ في الأمثلة-، بل إنَّهُ يُؤَدِّي إلى ماهو أدهى من ذلك، كفهم من يقول في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [5]. إنَّ جسد المرأة كلّه زينة، والزينة هنا حتماً ليست المكياج والحلي وما شابه ذلك، وإنما

١- انظر كتابه المتقدم في الصفحة السابقة - هامش (٢)، وكتابه: المرجعية العليا في الإسلام ص ٢٨٨.

٢- انظر المقتطف من عيون التفاسير ١/٤١١.

٣- سورة النور، الآية: ٣٣.

٤- أخرج مسلم برقم ٣٠٢٩ عن جابر بن عبد اللّه - رضي اللّه عنهما - أن جارية لعبد اللّه بن أبي ابن سلول يقال لها: مسيكة وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنى، فشكتا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل اللّه: «ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء» إلى قوله: «غفور رحيم». في كتاب التفسير ٤/٢٣٢٠.

٥- سورة النور، الآية: ٣١.

هي جسد المرأة كلّه، ثم يقسمُ الجسدَ إلى قسمين: قسمٍ ظاهرٍ بالخلق، وهو ما أظهره اللّه تعالى في خلقها كالرأس والبطن والظَّهر والرجلين واليدين، وقسمٍ غيرِ ظاهرٍ بالخلق، وهو ما أخفاه اللّه تعالى في بنية المرأة وتصميمها، وهو الجيوبُ المرادة بالآية الكريمة.

فالجيوبُ في المرأةِ – على زعمه – لها طبقتانِ أو طبقتانِ مع خرقٍ، وهي ما بين الثَّديين وتحتَ الثديين وتحتَ الإبطين والفرج والإليتين، وهذه كلّها جيوب، فهذه الجيوبُ يجبُ على المرأةِ المؤمنةِ أن تغطيَها لذا قال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ !!.

وبعد هذا الخلط والتَّخَبُّط – الذي لا يحتاج إلى مناقشة لوضوح بطلانه، وكيف يحتاج إلى ذلك وقد نسف ما استقرَّ عليه العملُ بإجماع المسلمين على مدى أكثرَ من أربعةَ عَشَرَ قرناً من الزَّمان؟! منذ فسرته أم المؤمنين عائشة – رضي اللّه عنها – حين قالت: يرحم اللّهُ نساءَ المهاجراتِ الأُوَل، لمَّا أنزل اللّه: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ مروطَهُنَّ فاختمرن بها (١).

وبعد هذا التَّخَبُّط يقولُ أيضًا: وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾: إنَّ الذي يُفسِّرُ هذه الفقرةَ على أساسِ الخلخالِ في القدم، أي: على المرأة أن لاتضع خلخالاً في القدم وتضرب على الأرض لكي لا يسمع الخلخال أو تلبس حذاء ليس له صوت في أثناءِ السَّيرِ فهو غير مصيب في تفسيره !! وبهذا خَطَّأَ أئمةَ التَّفْسيرمن صحابةٍ وتابعين فمن بعدهم إلى زماننا هذا (٢).

ثم أعرب عن فهمه وتدبره: أَنَّ السَّببَ في ذلك النَّهي ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ هو لكي لا يعلم ما يخفين من زينتهن – وهنا الكلام عن الزينة المخفية وهو الجيوب – لأنها لايمكن أن تعلم إلا إذا أرادت المرأة ذلك، فهذا يعني أنَّ اللّهَ مَنَعَ المرأةَ المؤمنةَ من العملِ والسَّعي (الضرب) بشكل يظهر جيوبها أو بعضها، كأن تعملَ عارضة (ستربتيز) أو تقوم برقصات تظهر فيها الجيوب أو بعضها ولكنه لم يحرم الرَّقْص بشكلٍ مطلقٍ بل حرم عليها إظهار الجيوب أو بعضها بشكل إرادي، وهذا لايحصل إلا من أجل كسب المال أو على شواطئ البحر (٣).

١– أخرجه البخاري برقم ٤٧٥٨ في كتاب التفسير ١٠/٥١٠.

٢– انظر الآثار التي أخرجها ابن جرير ١٨/٩٧ – طبعة دار المعرفة بيروت –، وابن أبي حاتم ٢/٢٨٠ – رسالة دكتوراه لأخينا الفاضل الدكتور عمر يوسف حمزة، وغيرهما من كتب أعلام المفسرين في المأثور والمعقول.

٣– انظر: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص ٦١٣ للدكتور المهندس محمد شحرور – الطبعة السادسة سنة ١٩٩٤م الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق.

وهكذا يعصفُ هذا الفهمُ السَّقيمُ بكلِّ قواعد التدبروأصول التفسير (١).

وأنت ترى أنَّ الأمة لو مشت في ظلام هذا الفهم القاتم لأتت على تعاليم الإسلام كلِّها، ولانسلخت من ماضيها برمته، ومن ثَمَّ ستجد نفسها وقد مَرَقَتْ من الإسلام كما يمرقُ السَّهمُ من الرَّميَّة، غير أنَّ هذا لن يكون - بفضل اللّه وتوفيقه - لأنَّ اللّه تعالى حافظ دينه، وقد تَكَفَّلَ بإيجادِ جهابذةِ العلماءِ الذينَ يَذُبُّونَ عن دينه، ويجاهدونَ في سبيله، كما قالَ - ﷺ: «يحملُ هذا العلمَ من كلِّ خلف عدولُهُ، ينفون عنه تحريفَ الغالينَ، وانتحالَ المبطلينَ، وتأويلَ الجاهلين» (٢) - والحمد لله رب العالمين -.

إنَّ خيرَ ما يعصمُ من الانحرافِ في فهمِ كتابِ اللّهِ تعالى، ويعينُ على سلامةِ **التَّفْكيرِ والتَّدَبُّرِ: هو التَّفْسيرُ المأثورِ - إن وجد -، إذ هو العِصْمَةُ من الوقوعِ في الخللِ والزَّلل**، إذ السَّلفُ من صحابة وتابعين - رضي اللّه تعالى عنهم - أدرى بمراد اللّه تعالى، لما لهم من عقولٍ نَيِّرَةٍ، وأفهامٍ ثاقبةٍ، ومعرفةٍ لغويةٍ شاملةٍ، مع ما هم عليه من تقوى ونورٍ وبصيرةٍ، ويأتي من بعدهم أعلام المفسرين الذين تلقت الأمة تفاسيرهم بالقبول- على اختلاف تفاسيرهم وتنوع طرائقهم.

فلا بدَّ من النظر في تفاسيرهم، وفهم ما عنوا بذلك، ثم البناء على ما أسسوا، والحذر من هدم ما قَعَّدوا، ثم إذا أردنا أن نفهم ما استجدَّ من أحداثٍ وقضايا، وما حصل من تَطَوُّرٍ وتَقَدُّمٍ، من خلال ما أشارت إليه الآيات، فلا مانع من ذلك -بل هو أمر مطلوب - شريطة أن يكون المتدبر أهلاً لما هو بصدده - كما تَقَدَّمَ - ، وأن تكونَ النتائجُ مسلّمةً غيرَ مصادمةٍ لصحيحِ المنقولِ ولا لصريحِ المعقولِ.

١- ذكر الشيخ خالد عبد الرحمن العك في كتابه (الفرقان والقرآن) - دار الحكمة للطباعة والنشر - دمشق - ص ٥: أنَّ في كتاب الدكتور محمد شحرور أكثر من ثلاثة آلاف أغلوطة شرعية ولغوية وعلمية متعمدة بأسلوب فلسفي جدلي سفسطائي، ومنهج مادي مركسي، ومفهوم غربي إلحادي.

واقرأ الرد التحليلي عليه في كتاب «التحريف المعاصر في الدين» للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة - طبعة دار القلم - دمشق، وقد أعجبني قوله في نهاية متابعاته ص ٢٣٤: «إنني لأخجل من القارئ ومن نفسي حينما أضع مثل هذا المجون الفكري، أو الجنون الكفري، موضع التحليل والنقد والتفنيد، إذ لا يستحقّ لدى العقلاء، بل لدى ذوي التفكير العادي أكثر من النبذ إلى الحريق ..إلخ.

٢- أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل عن عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني مرفوعاً ١/٣١٤، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد من عدة طرق عن أبي هريرة وغيره من الصحابة - رضي اللّه عنهم - محتجاً به ١/٥٩ - ٦٠، والخطيب البغدادي في أصحاب الحديث ص ٢٩ وغيرهم.

الخاتمة - وفيها أَهَمُّ نتائج البحث:

وفي ختام هذا البحث المتواضع، وبعد هذا التطواف في جوانب موضوع التدبر وما يتعلَّقُ به يمكنُ تلخيصُ نتائج البَحْث في النُقَاط الآتية:

١- إنَّ تَدَبُّرَ آيات القرآنِ الكريمِ أمرٌ مطلوبٌ، دعت إليه الآياتُ وَحثَّتْ عليه، وهو مقصدٌ مُهِمٌّ من مقاصدِ القرآنِ، ومفتاحٌ لتحقيقِ العملِ الذي هو لُبُّ لبابِ التَّعاملِ مع الكتابِ الكريمِ.

٢- إنَّ من أهمِّ غاياتِ التدبر: التيقن بأنَّ هذا القرآن إنما أُنزلَ بعلمِ اللّه.

٣- إنَّ التَّدَبُّرَ على أقسام: منها ما هو مشاعٌ بينَ النَّاسِ، لا يقتصر على فئةٍ دونَ فئةٍ، وأهمُّ ما يحتاجه هؤلاء: فهمُ المعنى وحضورُ القلبِ.

ومنها ما هو حكر على جماعةٍ خاصَّة بشروطٍ مخصوصةٍ من أبرزها: العلمُ بالدِّرسات القرآديَّةِ، والإلمامُ بلغةِ القرآنِ ومعرفةُ أسرارِهَا وقواعدِهَا، والوقوفُ على آراءِ جهابذةِ المفسرين على اختلاف مناهجهم وتنوع طرائقهم، واستلهامُ خبراتهم في أصول التفسير وعلوم القرآن للبناء عليها والانطلاق من خلالها في الأفهام الجديدةالتي تنبثق من الواقع المعاصر للمتدبرين، وفقاً لمقولة ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن» (١).

٤- لقد أبلى بعض المتدبرين - في القديم والحديث - بلاءً حسناً، ولهم في ذلك جهودٌ مشكورةٌ في الكشفِ عن أسرارِ الكتابِ العزيزِ والإفصاحِ عَنْ إشاراتِه.

٥- كما أبلى آخرون بلاء سَيِّئاً فجاءوا بطَامَّات، ربما أصابت معاقدَ الإيمانِ وقواعدَ الإسلامِ.

٦- إنَّ من الإلحاد في آيات اللّه الميل مع الهوى، ولَيِّ عنق الآيات للوصول إلى مواكبة العصر، ومداراة الرغبات وتحقيق الشَّهوات كما في قضية المرأة وما يدور حولها من الحجاب والاختلاط وتعدد الزوجات والمساواة بالرجال، والابتعاد عن منهج الوسطية الذي أرسى قواعده القرآن، وتولَّت بيانه سُنَّةُ النَّبيِّ ﷺ.

٧- يلزم لقبول نتائج التدبر أن لا تصادم منقولاً صحيحاً ولا معقولاً صريحاً.

واللّه تعالى أعلم، وصَلَّى اللّه تعالى وباركَ وسلَّم على عبده ورسوله سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه، وأنصاره وأحبابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

١- أخرجه الطبراني في الكبير، وفي رواية: خير بدل علم - في الموضعين - انظر الأرقام ٨٦٦٤-٨٦٦٦، ١٣٦/٩، وقال في مجمع الزوائد ١٦٥/٧: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم ١٩٦٠ فصل في تعليم القرآن ٢٣٢/٢، وانظر إحياء علوم الدين ٢٨٣/١.

فهرس أهمّ المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدِّين عبد الرَّحمن السُّيوطيّ (ت ٩١١ هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

٢- الأساس في التفسير للشَّيخ سعيد حوى، دار السَّلام للطِّباعة والنَّشر، الطَّبعة الثَّانية، سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٣- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد اللّه الزَّركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م - بيروت.

٤- بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٥- البيان في علوم القرآن للأستاذ الدكتور محمد علي الحسن، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٦- تاج العروس للإمام السيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيديّ (ت ١٢٠٥ هـ)، مطبعة حكومة الكويت.

٧- تاريخ بغداد للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن ثابت بن علي الخطيب البغداديّ (ت ٤٦٣ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٨- التَّحرير والتَّنوير للشّيخ الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة ١٩٨٤م.

٩- التعريفات للإمام علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٨ هـ.

١٠- تفسير الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) جمع وتحقيق الدكتور شير علي شاه، الجامعة العربية أحسن العلوم، كراتشي، باكستان.

١١- التَّفسير التَّحليليّ لسورة النِّساء للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م.

١٢- تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٣- التَّفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام فخر الدين الرَّازي محمد بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت ٦٠٦ هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

١٤- تفسير مجاهد (ت ١٠١ هـ) تحقيق عبد الرحمن الطَّاهر بن محمد السّورتي، طبع على نفقة صاحب السّمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م - الدوحة - قطر.

١٥- التفسير المظهري للقاضي محمد ثناء اللّه باني بتي المظهري (ت ١٢٢٥ هـ)، المكتبة الحبيبية، باكستان.

١٦- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ت ٣٧٠ هـ، تحقيق يعقوب عبد النبي ومحمد علي النجار، مطابع سجل العرب، القاهرة.

١٧- الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.

١٨- الجرح والتَّعديل للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرَّازي ت ٣٢٧ هـ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، الطَّبعة الأولى.

١٩- دراسات قرآنية للأستاذ محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة السَّابعة، سنة ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م.

٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي ت ١٢٧٠ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢١- سنن الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٢- سنن أبي داود (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد عوامة، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩ هـ/١٩٩٨م.

٢٣- سنن النسائي (ت ٣٠٣ هـ) تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٤ هـ/١٩٩٤م.

٢٤- صحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤١٣ هـ.

٢٥- صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ) مع شرحه فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ - دار أبي حيان، الطَّبعة الأولى سنة ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م، طبع على نفقة سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم.

٢٦- غريب القرآن للإمام أبي محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق أستاذنا سيد أحمد صقر - رحمه اللّه تعالى - نشر مكتبة توحيد وسنة - باكستان.

٢٧- العقل والعلم في القرآن للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة - الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م.

٢٨- العقل وفهم القرآن للإمام الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ)، تحقيق حسين القوتلي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م.

٢٩- فتح القدير الجامع بين فني الرِّواية والدِّراية في علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٣ هـ/١٩٦٤م.

٣٠- القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣١- القرآن محاولة لفهم عصري للدكتور مصطفى محمود، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة.

٣٢- القرآن والتوراة والإنجيل والعلم تأليف الطبيب موريس بوكاي، مطبعة دار المعارف بمصر، سنة ١٩٧٧م.

٣٣- قواعد التدبر الأمثل لكتاب اللّه عز وجل للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩م.

٣٤- كبرى اليقينيات الكونية للأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الثامنة، سنة ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م.

٣٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام أبي القاسم جار اللّه محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م.

٣٦- مباحث في علوم القرآن للأستاذ الدكتور صبحي الصالح، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، سنة ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨م.

٣٧- مجلة التربية قطر، الدوحة، سنة ١٩٩٣م/ العدد الخامس بعد المئة.

٣٨- مجلة مجمع اللغة العربية مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة، الجزء الثالث عشر.

٣٩- محاسن التأويل تأليف علامة الشام محمد جمال القاسمي ت ١٣٣٢ هـ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٤٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤١ هـ) طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، الدوحة.

٤١- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه للأستاذ الدكتور عدنان زرزور، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م.

٤٢- المدخل إلى الدراسات القرآنية للشيخ الكبير أبي الحسن الندوي، ت ١٤٢٠ هـ، رحمه اللّه تعالى، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

٤٣- المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة للدكتور يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م.

٤٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠ هـ)، تصحيح مصطفى السقا، المطبعة الأميرية.

٤٥- معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦ هـ)، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت.

٤٦- مفردات القرآن للعلامة الراغب الأصبهاني الحسين بن محمد، ت في حدود ٤٢٥ هـ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م.

٤٧- المعجم الوسيط إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، الدوحة.

٤٨- مقدمة التفسير للعلامة الحسين بن محمد بن المفضل الملقب بالراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥ هـ)، نشر قديمي كتب خانة، كراجي، باكستان.

٤٩- مقدمة في أصول التفسير للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت ٧٢٨ هـ، تحقيق الدكتور عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م.

٥٠- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م.

٥١- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي - عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣م.

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

ACADEMIC REFEREED JOURNAL OF
ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

GENERAL SUPERVISION
BOARD OF SCIENTIFIC, TEACHING AND
ADMINISTRATIVE AFFAIRS

EDITOR IN-CHIEF
Prof. IBRAHIM MOHAMMED SALQINI

EDITING DIRECTOR
DR. MOHAMMAD ABDUL RAHIM SULTAN AL OLAMA

EDITING BOARD
Prof. HATIM SALIH AL DHAMIN
Prof. RAJAB SAEED SHAHWAN
DR. IYADA AYOUB AL KUBAISI

ISSUE NO. 19
Rabi' AlAwal, 1421H - June 2000G

ISSN 1607- 209X

ISSN 1607-209X

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

Academic Refereed Journal of

ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

ISSUE NO. 19
Rabi' AlAwal, 1421H - June 2000G